مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد - مجلة علمية محكمة- العدد السابع عشر

"تنظيم إخوان الجسور في جنوب فرنسا: المهام ومصادر التمويل"

(١١٨٩-١٣٠٨م)

د. عماد أحمد حامد عبد العليم(*)

الملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى إلقاء الضوء على أحد التنظيمات الخيرية الذي ظهر في جنوب فرنسا في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي، وكان يُطلق عليه اسم "تنظيم إخوان الجسور". ويركز هذا البحث بشكل أساسي على مهامه ومصادر تمويله، أما مهامه فتشمل: الإسهام في صيانة الجسور وبنائها على الأنهار، وتسهيل حركة عبور التجار والمسافرين والحجاج عليها، مع توفير الرعاية والحماية لهم ضد هجمات المجرمين وقُطاع الطرق، الذين انتشروا بكثرة حينذاك. أما مصادر تمويله فهي تنقسم إلى نوعين؛ التمويل المالي: الذي يضم أموال التبرعات والصدقات، فضلًا عن الامتيازات التي كان يمنحها الكونتات والأمراء، والتمويل الروحي: ويقصد به صكوك الغفران، التي كان يصدرها البابوات ورجال الدين لتشجيع المواطنين على الإسهام في بناء تلك الجسور كعمل من أعمال البر والإحسان. هذا وقد استخدم الباحث منهج البحث التاريخي لإكمال هذه الدراسة من حيث: جمع المواد العلمية من المصادر والمراجع المختلفة، ثم تحليلها، واستنباط النتائج منها.

كلمات مفتاحية: إخوان الجسور–جنوب فرنسا– القديس بينيزيه – صكوك الغفران– مصادر التمويل – التبرعات والصدقات.

(*) مدرس تاريخ العصور الوسطى– كلية الآداب–جامعة الوادي الجديد emadhamed80@art.nvu.edu.eg

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٣م

"Organization of the frères pontifes in the South of France: Missions and funding sources" (1189-1308)

Abstract:

This paper seeks to shed light on one of the charitable organizations that appeared in the south of France in the second half of the twelfth century, and it was called "The frères pontifes " .This research focuses mainly on its tasks and sources of funding. As for its tasks, it includes: Contributing to the maintenance and construction of bridges on the rivers, and facilitating the movement of merchants, travelers and pilgrims crossing over them, while providing them with care and protection against the attacks of criminals and bandits, who were widespread at that time. As for its funding sources, it is divided into two types. Financial financing: which includes money from donations and alms, in addition to the privileges granted by counts and princes, and spiritual financing: means indulgences, which were issued by popes and clerics to encourage citizens to contribute to building those bridges as an act of righteousness and charity. The researcher used the historical research method to complete this study in terms of collecting scientific materials from different sources and references, then analyzing them, and drawing conclusions from them.

Keywords: Frères pontifes; South of France; Saint Bénézet; Indulgences; Sources of financing; Donations and Alms.

تعرضت الجسور التي أقامها النبلاء اليونانيين والرومانيين القدماء للدمار والتخريب منذ القدم؛ إما بفعل الزمن؛ وإما من جراء كثرة الحروب الأهلية الطاحنة التي كانت تأتي على الأخضر واليابس، في حين حال الانحطاط الفكري والثقافي للعصور المظلمة دون تجديدها، وبعد أن بدأ التعليم في الاستيقاظ من سُباته العميق خلال الفترات التي أعقبت غزوات كل من: القوط، والوندال، وانهيار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، لم يكن ممكنًا على الإطلاق عبور الأنهار إلا عن طريق الجسور، أو بالسباحة عبر التيار السريع، أو عبر الأماكن الضحلة[١].

وللتغلب على مثل تلك الصعوبات الجمة، تبنت الحكومات صنع الطوافات أو القوارب، كما تم تشكيل العديد من الطوائف والاتحادات المتعددة من البحارة والملاحين

(1) Mackey,A.G.,Encyclopedia Of Freemasonry And Its Kindred Sciences,Vol.1:A-C,Jazzybee Verlag, 2016, p.262.

بهدف نقل المسافرين، وبضائعهم عبر الأنهار[٢]، بيد أن هؤلاء البحارة كانوا في أغلب أمرهم يقومون بنهب المسافرين، والاستيلاء على أمتعتهم بدلًا من مساعدتهم. ومن هذا المنطلق رأى أصحاب الفضل والإحسان (أهل الخير) ضرورة إقامة نُزل(فنادق)على الضفاف الرئيسة للأنهار خاصة في الأماكن التي يتردد عليها الناس بكثرة؛ بغرض إيوائهم، والعمل أيضًا على صيانة الجسور وبنائها لنقل المسافرين والحجاج مع بضائعهم[٣]، ومن هنا ظهرت إلى الوجود مهام تنظيم إخوان الجسور في جنوب فرنسا، موضوع هذا البحث المتواضع.

بادئ ذي بدء لا بد من الإشارة هنا إلى أنه كان من بين المسميات الأخرى التي أطُلِقت على هذا التنظيم أيضًا اسم: إخوان أفينيون Avignon [٤]؛ نسبةً لجسر أفينيون، الذي بدأ القديس "بينيزيه"Saint Bénézet(١١٦٥-١١٨٤م)[٥] هو وأتباعه في بنائه

---

(2) Grégoire, H., Recherches Historiques sur les congrégations hospitalières des Frères Pontifes ou constructeurs de ponts, Paris : Baudouin Freres,1818, p.4.

(3) Mackey,A.G., Encyclopedia, Vol.1, p.262.

() ٤أصل الإخوان في الديانة المسيحية يبدو غامضًا إلى حد ما كما هو الحال مع بقية الحركات الأولية في تاريخ الكنيسة، فالأخ في المسيحية، هو عضو في مؤسسة دينية (أو نظام ديني) يلتزم فيه عادةً باتباع تعاليم المسيح -عليه السلام- من خلال قبول ثلاثة نذور هي:(الفقر، والعفة، والطاعة)، وهو في الأساس رجل علماني بمعنى أنه لا يُرسم شماسًا، أو كاهنًا، ويعيش في مجتمع ديني، ويعمل في مجموعة تتناسب مع قدراته. راجع:

Leete,F.D.,Christian Brotherhoods, New York,1912,p.13.

وقد اختار الباحث لفظة (إخوان)؛ لأنها تطلق على الذين آخاهم المنهج والعقيدة، والعمل المشترك، أما كلمة (إخوة) فتطلق على الإخوة بالنسب والدم، كما أن لفظ (إخوان) جمع يفيد الكثرة، بينما كلمة (إخوة) جمع يفيد القلة؛ لذلك كان اختياري لكلمة (إخوان).

(٥) بينيزيه: هو البديل البروفانسي باللغة الفرنسية لاسم بينيدكت Benedict، أو بينوا Benoît. انظر:

Albanès,Abbé J.H.,Le Vie de Saint Bénézet, fondateur du pont d'Avignon, texte provençal du XIIe Siècle,Marseille,1876,p.40.

ولد "بينيزيه" حوالي عام١١٦٥م في فيلارد Villard، وهي بلدة صغيرة مستترة في جبال فيفاري Vivarais، ولا يُعرف اسم والديه بشكل دقيق، وكل ما هو متاح من معلومات عنه، أنه قضى سنوات طفولته الأولى، مثل بقية الأطفال الفقراء في الريف الفرنسي آنذاك، تحت سقف منزل بسيط مصنوع من القش، وقد توفى والده مبكرًا، فقام "بينيزيه" بمساعدة والدته الأرملة عن طريق رعي الأغنام التي كانت جل ثروتها. وعلى الرغم من كونه فقيرًا، وغير متعلم، لكنه كان محبًا لفعل الخير، ومساعدة الآخرين، ولا سيما الفقراء والمحتاجون منهم، بيد أنه لم يكتب له الحياة طويلًا، فسرعان ما توفى وهو في ريعان شبابه في ١٤ أبريل عام ١١٨٤م. للمزيد راجع:

Saussay, A.D., Martyrologium Gallicanum: in quo sanctorum beatorumque ac piorum plusquam octoginta millium, ortu, vita, factis, doctrina, agonibus, trophaeis, opitulationumque Gloria, ac caeteris quibusque sacrae venerationis titulis, in Gallia illustrium, certi natales indicantur, triumphi suspiciendi exhibentur, nitidaque ac vindicata eorumdem elogia describuntur,quae commentariorum apodicticorum tomi quatuor subsequentes, uberius recensita, insignitaque multiplici antiquitatis ecclesiasticae indagine, cumulabunt: opus,in cujus penu constat absoluta christianissimae Ecclesiae historia, pridem ante desiderata, jamque ut ex rebus conserta per sanctos divine gestis, sic ex probatissimis quibusque monimentis, ac priscis codd.mss., summa fide, collecta, Paris, 1637, p.1107.; Brodman, J., Charity and Religion in Medieval Europe, The

على نهر الرونRhône [٦] منذ عام ١١٧٧م؛ والإخوان البندكتيين نسبةً لـ "بندكت Benedict (الاسم البروفانسي لبينيزيه) [٧].

دراسات سابقة:

لقد حظي موضوع تنظيم إخوان الجسور–كغيره من موضوعات التاريخ السياسي والحضاري لفرنسا خلال العصور الوسطى–باهتمام قطاع عريض من المؤرخين المُحدثين، حيث عالج الفريق الأول منهم بشكل عام دور القديس "بينيزيه"– في بناء جسر أفينيون على نهر الرون في عام ١١٧٧م [٨]، ومن أبرزهم دراسة: "بول ناودون" Paul Naudon [٩]، و"جوردون جي. إي" Gordon,J.E[١٠]، و(سي.أتش.إم) C .H. M [١١].

في حين ركز فريق آخر على الجانب الهندسي والمعماري في تشييد جسر أفينيون مثل دراسة:"ماري دى.إم"Marié,D.M[١٢]، و"ماثيو غيلاردي" Matthieu

---

Catholic University of America, 2009, p.122.; Beutner, D.M., Saints: Becoming an Image of Christ Every Day of the Year, Ignatius Press, 2020, p.159.

ويُعزي بعض المؤرخين سبب تلقب "بينيزيه" بلقب (القديس)؛ إلى الأعمال الخيرية التي قام بها داخل فرنسا، فضلًا عمّا نسبه له بعض معاصريه من إتيانه لبعض المعجزات مثل: شفاء المرضى من ذوي الأمراض المستعصية، وإعادة البصر للعميان، وبناءً على ذلك، وأثناء ترأس البابا أنوسنت الرابعInnocent IV (١٢٤٣-١٢٥٤م) لمجمع ليون الأول عام١٢٤٥م، قام برفعه (بينيزيه) إلى مصاف القديسين، ومنذ ذلك الحين صار يُطلق عليه لقب "القديس بينيزيه "Saint Bénézet. راجع:

Emerton,E.,"*Altopascio-A Forgotten Order*", In, A H R,Vol.29,No.1,(Oct.,1923),p.19.; Gross, E.,This Day in Religion,New York:Neil-Schuman Publishers,1990,p.72.;Baudoin, J., Grand livre des saints:culte et iconographie en Occident ,Auvergne, 2006 ,p. 125.

[٦] نهر الرون: أحد أهم أنهار الجنوب الأوروبي، ويتجه جنوبًا من منابعه الألبية في سويسرا ليصب في خليج ليون في البحر الأبيض المتوسط، ويبلغ طول مجراه حوالي ثمانمائة كم٢، منها خمسمائة وثمانية عشر كم٢ في فرنسا، وما تبقى منه في سويسرا. راجع:

Moore, W.G., The Penguin Encyclopedia of places, New York,1978, pp.652-653.

[7] Morel., Un résumé de l'histoire d'Avignon du point de vue religieux dans ses relations avec les grands événements de l'histoire générale., T.1, Avignon, 1852, p.98.

[٨] عن جسر أفينيون على نهر الرون. انظر: الملاحق (**الملحق الثاني**).

[9] Naudon, P., The Secret History of Freemasonry: Its Origins and Connection to the Knights Templar, Inner Traditions/Bear,2005, pp.46-47.

[10] Gordon, J.E., "*Something about bridges-or Saint Bénezèt and Saint Isambard*", In, Structures or Why things don't fall down, (1978), pp.198-209.

[11] C H M., "*The Fratres Pontifices and the Community at Altopasio*.", In, C H R., (1924), pp.563-566.

[12] Marié, D.M., Le pont Saint Bénézet. Étude historique et archéologique d'un ouvrage en partie disparu.Vol.1, Histoires et réalité, Paris, 1953, pp.110-113.

Ghilardi[١٣]، و"دانيال لي بليفيك" Daniel Le Blevec[١٤]، و"جـــان ميسكـــــي" Jean Mesqui [١٥].

وهُناك فريق ثالث أشار -أو ألمح- إلى موضـوع: مصادر تمويل تنظيم إخوان الجسور ومهامهم في جنـوب فرنسـا، إشارة طفيفة ودون تفصيـل، وبشكل مقتضــب لا يسد شغف الباحثيـن حول هذا الموضوع، ومن بينــهم دراســة: "تومـاس هاريســون" Thomas Harrison [١٦]، و"سيــمون بالوســينو"Simone Balossino[١٧]، و"جيمس برودمان" James Brodman[١٨]، ومارجـوري نـيس بويـر"Marjorie Nice Boyer[١٩]، و"بيير بانسييه" Pierre Pansier[٢٠]. وهناك عدد آخر من الدراسات السابقة، مما يضيق المقام لذكرها هنا جميعًا، لكن ورد ذكرها خلال ثنايا هذا البحث.

من هنا جاءت أهمية هذه الدراسة، لكي تُلقي الضوء بشكل وافٍ ومستفيض على موضوع تنظيم إخوان الجسور، لا سيما فيما يتعلق بمهامهم ومصادر تمويلهم في جنوب فرنسا خلال الفترة من عام ١١٨٩م، وحتى عام ١٣٠٨م، ودراسته دراسة تاريخية -بعيدًا عن الجانب الهندسي والمعماري، خاصة وأنه لم تُفرِد له أي من الدراسات الأجنبية دراسة مفصلة قائمة بذاتها، وكل ما هو مُتاح عبارة عن شذرات متناثرة في بطون المصادر والمراجع، ولا تفي بالغرض، كما أن المكتبة العربية قد خلت تمامًا من المعلومات-على حد معلومات الباحث المتواضعة جدًا-، حول هذا الموضوع، ولعل هذا الأمر، هو الذي شجعني لتناوله؛ بُغية أن يسد ثغرة في تاريخ أوروبا العصور الوسطى.

(13) Ghilardi, Matthieu,et al., "*Dating the bridge at Avignon (south France) and reconstructing the Rhone River fluvial palaeo-landscape in Provence from medieval to modern times*", In, J A S: Reports 4 (2015), pp.336-354.

(14) Le Blévec, D., "*Une institution d'assistance en pays rhodanien:les Frères pontifes*", T.13, dans, C F.,(1978),pp.87-110.

(15) Mesqui, J., Les "œuvres du pont" au Moyen Âge, en Les routes du sud de la France: De l'antiquité à l'époque contemporaine, Paris,1985, pp.231-243.

(16) Harrison, H., Of Bridges: A Poetic and Philosophical Account, University of Chicago Press, 2021, pp.105-107.

(17) Balossino, S., Le pont d'Avignon : une société de bâtisseurs (XIIe-XVe siècle), Éditions Universitaires d'Avignon, 2022.

(18) Brodman, J., Charity and Religion in Medieval Europe, pp.121-126

(19) Boyer,M.N.,"*The Bridgebuilding Brotherhoods*",in,Specu.,Vol.39,N.4,(1964),pp. 635-650.

(20) Pansier, P., "*Histoire de l'ordre des frères du pont d'Avignon (1181-1410)*", dans, A A C V, T.7, (Paris 1922), pp.5-33.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٣م

إشكاليـــة الدراســـة:

تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة على العديد من التساؤلات لعل من أبرزها: ما تنظيم إخوان الجسور؟ أين نشأ وكيف؟ ما الهيكل الإداري والتنظيمي لتنظيم إخوان الجسور؟ ومن أين حصل أعضاء التنظيم على الموارد المالية للنهوض بمهامه؟ وما أبرز تلك المهام التي قاموا بها داخل فرنسا؟ وهل كان أعضاؤه يأخذون مقابلاً ماديًا نظير قيامهم بتلك المهام؟ وما موقف ملوك فرنسا من هذا التنظيم؟ وما الدافع الذي حدا بالبابوات إلى إصدار صكوك الغفرانIndulgences [٢١]، لكي تكون أحد مصادر تمويل بناء الجسور وصيانتها؟ وهل ظل هذا التنظيم يقوم بمهامه؛ أم توقف وتم حَلُه؟ ولو توقف فما السبب وراء ذلك وما تداعياته؟

وعن سبب التحديد الزمني لفترة الدراسة بالفترة الواقعة بين عامي (١١٨٩– ١٣٠٨م)؛ فإنما يرجع إلى أن التاريخ الأول (عام ١١٨٩م)، هو تاريخ إصدار المرسوم البابوي، الذي أصدره البابا كلمنت الثالث Clement III(١١٨٧–١١٩١م) [٢٢]، واعترف فيه رسميًا بهذا التنظيم، أما التاريخ الثاني (عام ١٣٠٨م)، فهو تاريخ نهايته.

أما عن التحديد الجغرافي لموضوع البحث: فهو منطقة جنوب فرنسا [٢٣]، وعن سبب اختيار هذا الموقع تحديدًا؛ فإنما يرجع إلى أنه المكان الذي نشأ فيه تنظيم إخوان الجسور، وزاول أعضاؤه نشاطهم الخيري منذ النصف الأخير من القرن الثاني عشر، وحتى بداية القرن الثالث عشر الميلاديين، ويمكن تحديد جنوب فرنسا حينئذ جغرافيًا بالمنطقة الواقعة جنوب الكتلة الصخريـــة الوســـطى التي تشمل: مقاطعة أكوتين Aquitaine في

---

[٢١] صكوك الغفران: هي الإعفاء الكلي، أو الجزئي من العقاب الدنيوي على الخطايا، التي يرتكبها الشخص بعد اعترافه بذنوبه والتوبة منها، حيث يحصل على إيصال من الكنيسة بعدما يقوم بالاعتراف بخطاياه. وكان الكهنة يبيعون وثائق تؤكد حصول الشخص على الغفران مقابل مادي. انظر:
Mesqui, J., "*Le pont en France*",dans, R B P H, n° 4, Vol.65,p.875.

[٢٢] البابا كلمنت الثالث: باولو سكولاري Paolo Scolari ولد عام ١١٣٠م في عائلة ذات نفوذ كبير فى إيطاليا تزايدت أهميتها في روما خلال القرن الثاني عشر للميلاد. قام البابا ألكسندر الثالث Alexander III (١١٥٩-١١٨٤م) بتعيينه رئيسًا للكنيسة البطريركية، و(كاردينال - شماس) لسيرجيو إي باكو Sergio e Bacco، وأخيرًا أسقف على باليسترينا Palestrina في شهر ديسمبر عام١١٨٠م. انتُخب "باولو" بابا في ١٩ ديسمبر عام ١١٨٧م، بعد يومين من وفاة البابا جريجوري الثامنGregory VIII تولي كرسي البابوية شهرين فقط في عام١١٨٧م. انظر:
Robinson,I.S.,The Papacy,1073-1198: Continuity and Innovation, Cambridge University Press,1996, p.32; p.506.; McBrien, R.P., Lives of the Popes, HarperCollins Publishers , 2000, pp.207-208.

[٢٣] عن خارطة جنوب فرنسا خلال القرن الثاني عشر الميلادي. انظر الملاحق (**الملحق الأول**).

الغرب[٢٤]، ومقاطعة جنوب البرانس في الوسط، ومقاطعتي لانجدوك روسيون Languedoc Roussillon[٢٥]، وبروفانس Provence[٢٦] في الشرق[٢٧].

محاور البحـــــث:

ويرتكز هذا البحث على أربعة محاور رئيسة، وهي:

أولًا- نشأة تنظيم إخوان الجسور وتأسيسه:

ثانيًا- مهام تنظيم إخوان الجسور:

أ- المهام الاجتماعية (الخيرية).

ب- المهام العمرانية (الإنشائية).

ثالثًا- مصـــادر تمويـــله:

أ- التمويل المالي: (أموال النذور والصدقات-امتيازات الكونتات والأمراء الفرنسيين).

ب-التمويل الروحي: (صكوك الغفران Indulgences).

رابعًا- نهاية تنظيم إخوان الجسور في عام١٣٠٨م وأسباب ذلك:

تمهيـــــد:

لعل المدخل الطبيعي لدراسة هذا الموضوع، للإلمام به من كافة جوانبه، يأتي من خلال إلقاء الضوء على أحوال فرنسا في غضون تلك الفترة (١١٨٩-١٣٠٨م) بشكل موجز؛ نظرًا لطولها (قرابة القرن والربع)، وكثرة الوقائع التاريخية التي جرت فيها. حيث

---

[٢٤] أكوتين: اسمها يعنى "أرض المياه"، تم تأسيسها في القرن الأول الميلادي، وهي تُعد من أهم المقاطعات في الجنوب الفرنسي، وتتخللها وديان الأنهار. راجع: إبراهيم، أسامة إبراهيم حسيب، "*مقاطعة لانجدوك في جنوب فرنسا بين البابوية والكاثريون١٢٠٩-١٢١٨م: دراسة في التاريخ الديني والعسكري*"، مجلة كلية الآداب جامعة بنها، عدد٢٤، ج٢، يناير (٢٠١١م)، ص٧٣٥.

[٢٥] لانجدوك: إقليم ومقاطعة سابقة تقع جنوب فرنسا، عاصمتها التاريخية تولوز، تتكون من لانجدوك السفلى التي تمتد على ساحل البحر المتوسط، ومن مدنها: نيم، ومونبلييه، وناربون، ومن سهولها الجارون الخصيبة. راجع: إبراهيم، أسامة إبراهيم حسيب، "مقاطعة لانجدوك"، عدد٢٤، ج٢، ص٧٣٥.

[٢٦] بروفـانـــس: منطقة ومملكة في جنوب فرنسا، يحدها البحر الأبيض المتوسط من الجنوب، وجبال الألب Alps من الشرق، وبورغاندي Burgundy من الشمال. راجع:

Canby, C., Encyclopedia of Historic Places, Facts on File; Revised edition, 2007, p.1054.

[27] Cazes, E., La provence et les provencaux,Gedalge jeune, Paris,1870,p.78.; Anderson, H.V., "*Brotherhood in the Middle Ages* ",In, Mind,Vol.12,(New York 1913), p.451.

شملت مدن جنوب فرنسا في تلك الفترة كل من: تولوز، وألبيAlbi ، وكاركاسونCarcassonne؛ ومقاطعة **أكوتين:** ومدنها مثل: لا روشيلLa Rochelle ، وسان جان دا أنجيلي Saint-Jean-d'Angely، ومنطقة **بروفانس**: ومن مدنها مارسيليا .Marseille انظر: محمد، كحلوش، دور التجارة في نهضة المدن جنوب نهر اللوار(فرنسا) خلال العصور الوسطى المتأخرة (القرنين ١١ و١٣ الميلاديين)، رسالة ماجستير كلية الآداب- جامعة الجزائر٢- بوزريعة- ٢٠١٤م، ص١٤.؛ ١٠٨.

كانت فرنسا خاضعة آنذاك تحت حكم أسرة آل كابيه(٩٨٧-١٣٢٨م)، وتولى سدة الحكم عدد من الملوك.

وأول هؤلاء الملوك هو الملك فيليب الثاني أوغسطس Philip II Augustus (١١٨٠-١٢٣٢م)، الذي حاول من جانبه بسط نفوذ الملكية الفرنسية داخليًا وخارجيًا على غرار جده الملك لويس السادس Louis VI (١١٠٨-١١٣٧م)، وأخضع الأمراء الفرنسيين تحت سيطرته، واسترضى هنري الثاني Henry II ملك إنجلترا(١١٥٤-١١٨٩م)، وتحالف مع فريدريك الأول Frederic I إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة(ألمانيا)(١١٥٢-١١٩٠م)، وشارك في الحملة الصليبية الثالثة(١١٨٩-١١٩٢م/٥٨٥-٥٨٨هـ) ضد الشرق الإسلامي، لكنه عاد إلى بلاده متذرع بالمرض[٢٨]، وهدد ريتشارد الأول(قلب الأسد) Richard I ملك إنجلترا(١١٨٩-١١٩٩م) في الغرب الأوروبي، وفي عهده ظهرت الهرطقة التي عُرفت بالألبجنسية Albigensian [٢٩] حول مدينة ألبي Albi، في كونتية تولوز Toulouse[٣٠]، كما حاول خلال فترة حكمه منع التدخل البابوي في شئون الكنيسة الفرنسية، وألزم رجالها بدفع الضرائب المقررة عليهم. أما في الميدان الإداري، فقد عمل على مقاومة نظام التوريث في الوظائف الكبرى بالدولة، حيث قام بتعيين وكلاء ملكيين؛ حتى يضمن ولاءهم له، ولكي يقوموا بالإشراف على تنفيذ العدالة، وجمع الإيرادات الملكية [٣١].

خلف لويس الثامن Louis VIII (١٢٢٣-١٢٢٦م) أباه فيليب الثاني أوغسطس على العرش الفرنسي، لكن لم يكن له نفس قدراته العسكرية أو مواهبه الإدارية، وإن كان قد حاول من جانبه السير على نفس نهج السياسة التي رسمها له أبوه من قبل، والتي تهدف إلى بسط نفوذ فرنسا على الأنحاء جميعًا، فقام بفرض سياسته على دوقية أكوتين، غير أن مدينة

---

[٢٨] للمزيد من التفاصيل عن الحملة الصليبية الثالثة. راجع: مجهول، الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد)، ج٢، ترجمة وتعليق وتحقيق د. حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠٠٠م.؛ عبد المجيد عبد القوي، زينب، الإنجليز والحروب الصليبية فى الفترة بين ١١٨٩-١٢٩١م، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، القاهرة،١٩٩٦.

[٢٩] جماعة الألبجنسيين: إحدى الجماعات الهرطقية، التي ظهرت في فرنسا خلال القرن الثاني عشر الميلادي، وانتشرت بعد ذلك فى إيطاليا، وألمانيا ويرجع اسمها إلى مدينة ألبى جنوب فرنسا. راجع: محمد، كحلوش، دور التجارة، ص٦٥.

[٣٠] تولوز: مقاطعة فرنسية في قسم الجارون الأعلى Haute-Garonne في لانجدوك Languedoc، على نهر الجارون وقناة ميد Mid. انظر: Moore ,W.G., The Penguin, p.79.

[٣١] عاشور، سعيد عبد الفتاح، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، عام ١٩٧٢م، ص ص٢١٥-٢٢٩.

بوردو Bordeaux [٣٢] ظلت خارج قبضته. وفي تلك الأثناء لقي "سيمون دي مونتفورت" Simon de Montfort [٣٣] قائد الحملة العسكرية (الصليبية) ضد جماعة الألبجنسيين مصرعه في عام ١٢١٨م، فتنازل ابنه "عموري" Amory للملك لويس الثامن عن جميع الحقوق التي حصل عليها أبوه (سيمون دي مونتفورت) من البابوية، مما شجع العاهل الفرنسي على شن حملة عسكرية ضد الهراطقة في عام١٢٢٦م، وفي واقع الأمر، كان الهدف الرئيسي لتلك الحملة هو ضم الأجزاء الجنوبية من فرنسا إلى حوزته. هذا وقد حقق لويس الثامن كثيرًا مما طمح إليه، لكنه سرعان ما توفي فجأة في عام١٢٢٦م [٣٤].

بعد وفاة الملك لويس الثامن، تولى سدة الحكم مكانه ابنه لويس التاسع Louis IX(١٢٢٦-١٢٧٠م)، الملقب بالقديس، والذي قام بالحملة الصليبية السابعة على مصر(١٢٤٨-١٢٥٠م/٦٤٦-٦٤٨هـ)، والتي انتهت بالفشل الذريع. وفي الداخل عمل على احترام حقوق أفصاله الإقطاعيين، كما تميز عهده بالعديد من الإصلاحات المالية والقضائية والإدارية، وخلفه فى الحكم الملك فيليب الثالث Philippe III (١٢٧٠-١٢٨٥م) [٣٥].

ويمثل عهد الملك فيليب الثالث مرحلة انتقال بين الملكية الإقطاعية التي تميز بها عهد سلفه لويس التاسع، وبين الملكية القومية التي ميزت عهد فيليب الرابع Philippe IV (١٢٨٥-١٣١٤م) الذي جاء بعده، وذلك من حيث: انهيار النظام الإقطاعي، ونشأة المدن، وظهور اللغات الأوروبية الحديثة، مما أدى إلى رفض ملوك غرب أوروبا لفكرة الخضوع لسلطة واحدة مركزة في يد إمبراطور واحد. وفي

---

[٣٢] بوردو: مدينة وميناء وعاصمة مقاطعة جيروند Gironde، حوالي ثلاثمائة ميل من باريس، جنوب غرب فرنسا. راجع : Canby,C.,Encyclopedia,p.162 .

[٣٣] تم تعيين سيمون دي مونتفورت بإجماع من العلمانيين ورجال الدين كقائد على الحملة الصليبية من أجل القضاء على حركة الهرطقة الألبجنسية، التي انتشرت في جنوب فرنسا؛ شريطة أن يظل في لانجدوك. وقد وصفه المؤرخ "وليام توديلا"William of Tudela (١١٩٩-١٢١٤م) بالعديد من الصفات الحميدة التي جعلته- من وجهة نظره - مؤهلًا لقيادة جموع الصليبيين ضد الهراطقة. راجع:

Cf: Tudela, William of., The Song of the Cathar Wars :A History of the Albigensian Crusade, Translated by, Janet Shirley, Aldershot, England:Scolar,1996,p.23.

[34] Viard, J., Les grandes chroniques de France. Louis VIII et St Louis/publiées pour la Société de l'Histoire de France,10 Tomes, T.7, Paris,1932, p.2. ; William, W. Kibler and Others (Eds)., Medieval France: An Encyclopedia, London,1995, p.1071.

[٣٥] عاشور، سعيد عبد الفتاح، تاريخ أوروبا، ص ٢٢٩-٢٣٤.؛ وللمزيد من التفاصيل. راجع: جوانفيل: القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، ط١، دار المعارف، القاهرة ،١٩٦٨م.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٣م

عهـده ضـم التاج الفرنسي العديد من المدن مثل: بواتيـيه Poitiers [٣٦]، تولـوز، وأوفيرن Auvergne[٣٧]، وبروفانـس، وإقليـم شـامبين Champagne [٣٨].

وفيما يتعلق بالملك فيليب الرابع، فإنه لم يتوانِ من جانبه عن تحصيل الأموال بأي شكل من الأشكال داخل مملكته، حيث تفنن في فرض الضرائب، وجمع الأموال واستبدلها بالقروض الإقطاعية المفروض دفعها للتاج الفرنسي، كما قام بتقليل قيمة النقد، وأصر على أن تدفع الضرائب على هيئة سبائك ذهبية، وفي عام١٢٩١م قام بطرد جميع رجال المال، والصيارفة اللمبارديين من بلاده، في حين أبقي على التجار اليهود فقط داخل مملكة فرنسا؛ بُغية مشاركتهم لأرباحهم المادية، وقد تمكن الأخيرون من جمع ثروات طائلة نتيجة لقيامهم بإقراض كل من: الفرسان، والنبلاء، والهيئات الكنسية لاستكمال منشآتها الضخمة بالربا، منتهزين في ذلك فرصة قيام البابوية بتحريم الربا، وهو ما دفع طوائف الشعب الفرنسي كافة إلى كراهية اليهود، وقد استغل الملك فيليب الرابع ذلك الأمر، وقام بطردهم خارج مملكته، والاستحواذ على ما لديهم من أموال عام١٣٠٦م، كما قام أيضًا بحل تنظيم الداوية في عام ١٣١٢م، وصادر ممتلكاتهم لصالحه، بعدما أتهمهم بالعديد من التهم كالهرطقة واللواط[٣٩].

بعد استعراض أحوال فرنسا في غضون تلك الفترة، ننتقل الآن إلى تناول محاور البحث وهي كالتالي:

أولًا- نشأة تنظيم إخوان الجسور وتأسيسه:

في غضون تلك الأحداث سالفة الذكر، نشأ في جنوب فرنسا "تنظيم عُرف حينئذ باسم "تنظيم إخوان الجسور"، ويرجع الفضل الأساسي- بل وإن صح قُل والمُلهِم الأول- في فكرة

---

[٣٦] بواتييه (بواتو): مدينة وعاصمة مدينة ڤين غربي فرنسا، وهي العاصمة التاريخية لولاية پواتو .راجع: غربال، محمد شفيق وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، مج١،القاهرة،١٩٩٥م، ص٤٢٠.

[٣٧] أوفيرن: منطقة تاريخية، وإدارية سابقة لفرنسا. وقد شملت الإدارات المركزية في كل: أليير Allier، وبوي دو دومPuy-de-Dôme، وكانتالCantal، ولوار العلياHaute-Loire .انظر:

Canby, C., Encyclopedia,p.90.

[٣٨] عاشور، سعيد عبد الفتاح، تاريخ أوروبا، ص ص ٢٣٤-٢٣٥.

وإقليم شامبين: منطقة تقع شمال شرق فرنسا، أصبحت وحدة سياسية في القرن العاشر الميلادي. راجع:

Canby, C., Ibid, p. 239.

[٣٩] مصطفي عبد الوهـاب، ياسر، "*المسألة الصليبية في السياسة الفرنسية زمن الملك فيليب الرابـع (١٢٨٥-١٣١٤م/٦٨٤-٧١٤هـ)*"، مجلة كلية التربية، العدد الثالث، السنة السادسة، جامعة كفر الشيخ، (٢٠٠٦م)، ص ١٠٣. ٤ أسامة صاحب منعم، وآخر،" فيليب الرابع وسياسته تجاه البابوية ١٢٩٥-١٣١٤م"، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، عدد٣٨، نيسان، (٢٠١٨م)، ص٨١١.

عن موقف الملك فيليب الرابع من تنظيم الداوية في فرنسا. راجع:

الوكيل، جمال فاروق، "*سياسة الملك الفرنسي فيليب الرابع "الجميل" تجاه جماعة الفرسان الداوية "١٢٨٥-١٣١٤م*"، مجلة وقائع تاريخية، عدد ٢٨(٢٠١٨م)، ص ص ٧٥ - ١١٥.

تأسيسه إلى راعي غنم فقير يسمى "بينيزيه" Bénézet (١١٦٥-١١٨٤م)، وهو الذي نال فى فرنسا شهـرة عارمة بلغت الآفاق؛ بفضل الجسر، الذي شرع في بنائه منذ عام١١٧٧م (جسر أفينيون) [٤٠].

كَرّس "بينيزيه" نفسه بالكامل -منذ ذلك الحين- لبناء هذا الجسر، وانضم إليه عدد كبير من الرجال، والشباب المتدينين، والمتحمسين لهذا المشروع في الوقت ذاته، والذين صاروا من بين أتباعه ومعاونيه [٤١]. ولم ينتهِ من تشييده إلا بعد مرور أحد عشر عامًا من بدء العمل (أي في عام ١١٨٨م)؛ وبالتالي لم يرَ القديس بينيزيه إتمام بناء عمله، حيث وافته المنية في منتصف شهر يناير عام ١١٨٤م، وكان عمره آنذاك تسعة عشر عامًا [٤٢].

---

[40] Albanès, Abbé J.H., Le Vie de Saint Bénézet, p.ii.; Thurston, H.S.J., "*Saint Benezet and his biographer*", In, C.W.,Vol.LXXXVI,No.513,(New York December,1907), p.289.; Paulus, N., Indulgences as a Social Factor in the Middle Ages, Trans by: Ross, J.E., New York, 1922, p.78; p.295.

تروي لنا المصادر التاريخية المعاصرة قصة القديس بينيزيه في بناء جسر أفينيون على نهر الرون على النحو التالي:

إنه في عام١١٧٧م، في وقت الظهيرة، وأثناء كسوف الشمس ، وبينما كان بينيزيه- الذي كان يبلغ آنذاك اثنا عشر سنة- يرعى أغنام والدته الأرملة، رأى رؤيا أبلغته ببناء جسر على نهر الرون في مدينة أفينيون، فقد كانت الأمواج في تلك المنطقة شديدة حتى أنها أحبطت مساعي المهندسين الرومان -قديمًا- لبناء جسر فوق هذا النهر، وبالفعل صدّق بينيزيه الرؤيا، وترك الأغنام ، ثم اتجه صوب مدينة أفينيون، ووصل هناك في١٣سبتمبر عام١١٧٦م، ودخل الكاتدرائية بينما كان الأسقف "بونتس" Pontius(أو بونس Pons) أسقف أفينيون(١١٧٦-١١٧٨م) يلقي خطبته، فقام "بينيزيه" بمقاطعته لكي يبلغه بالمهمة التي جاء من أجلها إليه، إلا أن الأسقف غضب لمقاطعته إياه، وسخر منه ولم يصدق كلامه، بل وأخرجه بالقوة من الكاتدرائية، كما سخر أهالي أفينيون من بينيزيه أيضًا ؛ بسبب حداثة سنه، وعدم امتلاكه للموارد المالية الكافية لبناء مثل هذا الجسر، لكن وبعد عدة محاولات منه، وبسبب إصرار "بينيزيه" على المضي قدمًا في تنفيذ مهمته، فقد وافق أخيرًا أسقف أفينيون- الذي كان متشككًا في بناء الجسر منذ البداية- على هذا المشروع، وبدأ بالفعل العمل في بناء هذا الجســر في ذلك العـــام (عام ١١٧٧م).راجع:

Robert de Saint-Marien d'Auxerre., Chronologia seriem temporum et Historiam rerum in orbe gestarum continens ab ejus origine usque ad annum a Christi ortu 1200, auctore anonymo, sed coenobii S. Mariani apud Altissiodorum regulae praemonstratensis monacho, In, M G H S.,T.XXVI, Leipzig, 1925, p.241.; Coral ,P., Chronico S. Martini Lemovicensi, In, R H G F., T.12, Bouquet, D.M.(Ed.), Paris, 1781, p.455.; Vincent de Beauvais., Miroir Historial [Speculum Historiale], traduction Française par Jean de Vignay Series, Livre.XXIX , (W.D), L.XXIX, Ch.xxi. ; Chronico Turonensi, In, R H G F., 24 Tomes, T.12, Bouquet. D.M. (Ed.), Paris, 1781, p.477-478. ; Nangis, Guillaume de., Chronique de Guillaume de Nangis, Avec une introduction, des suppléments et des notices et remarques Par : Guizot M., Paris, 1825, p.49. ; Nouguier, F., Histoire chronologique de l'Église, évêques et archevêques d'Avignon, Avignon, 1659, p.50.

[41] Anonymous., Chronicon universale anonym Laudunensis: Von 1154 bis zum Schluss (1219), Leipzig, Paris, 1909, p.28.

[42] Canron, A., Histoire de Saint Bénézet berger et des Frères de l'œuvre du Pont d'Avignon:composée sur des documents authentiqes, L.Devillario,1854, p.27.; Saint-Venant, A.B.De., Saint Bénezet : patron des ingénieurs, Bourges,1889, p.15.; Hélyot, P., Dictionnaire Des Ordres Religieux, Ou, Histoire Des Ordres Monastiques, Religieux Et

بعد وفاة "بينيزيه"، كان لا بد من اختيار خليفة له في رئاسة هذا العمل الخيري، ومن هنا فقد شَكّل أتباعه فيما بينهم وبين بعضهم البعض تنظيمًا(رابطة، أو اتحاد، أو إخوة Brotherhood)، وقد جاء القديس "بينيزيه" على رأسه، حيث تولى رئاسة تنظيم إخوان الجسور[٤٣] عددًا من الأشخاص برتبة "البرايور"Prior(أي مقدم الدير)، وعندما كان الأخير يتوفى، أو يستقيل من منصبه، كان يتحتم على الأعضاء كافة عقد اجتماع فيما بينهم للشروع في اختيار رئيس جديد لهم، لكن قبل القيام بتلك المهمة كان عليهم ضرورة إخطار أسقف أفينيون بذلك، ودعوته لحضور تلك الانتخابات؛ حتى يقوم بالموافقة على انتخاب "البرايور" الجديد، فقد كان يتوجب على الأخير، قبل توليه مهام منصبه، إعلان الولاء لأسقف أفينيون هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، كانت من مهام "البرايور" أنه يقوم بمحاسبة كل عضو من أعضاء التنظيم يقع في التقصير في أداء مهامه، وذلك بعدما يأخذ برأي أسقف أفينيون إذا لزم الأمر في ذلك الشأن، وقد ظل هذا الوضع قائمًا حتى منتصف القرن الثالث عشر الميـلادي وتحديدًا في عام ١٢٦٠م، عندما تم توقف انتخاب رئيس تنظيم إخوان الجسور من بين الأعضاء [٤٤].

هذا وقد جرى تأليف تنظيم إخـوان الجسـور على غـرار هيئـة فرسـان الداويـة Templers [٤٥]، الذين شاركوا في الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي في بلاد الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين [٤٦].

وكيفما كان الأمر، ظل أتباع القديس" بينيزيه" يزاولون أعمالهم بتفانٍ وإخلاص مُطلق في فرنسا، وكانوا يعملون طوال النهار، وعندما يحل وقت المساء عليهم، كانوا يؤدون الصلاة في موقع بناء الجسور نفسه على ضوء المشاعل المُعلقة على العربات المستخدمة

Militaires, Et Les Congrégations Séculières De L'un Et De L'autre Sexe, Qui Ont été établies Jusqu'à Présent,4 Tomes,T.3, Paris, 1850,p.238.

(43) Papon, M., Histoire générale de Provence,4 Tomes, T.2, Paris,1778, p. 260.; Joudou, J.B.M., Avignon, son Histoire, ses Papes, ses Monumens et ses environs, Avignon, 1842, p.36.; Mackey, G.,Encyclopedia Of Freemasonry, Vol.1,p. 263.

عن رؤساء تنظيم إخوان الجسور في أفينيون. راجع: الملاحق (**جدول رقم ١**).

(44) Pansier , P., '*Histoire de l'ordre* ', dans, A A C V, T. 7,pp.9-10.

[٤٥] للمزيد من التفصيل عن هيئة فرسان الداوية راجع: مقامي، نبيلة إبراهيم، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، جامعة القاهرة، ١٩٩٤م، ص ١٣٩.

(46) Saint-Venant, A.B.De., Saint Benezet, p.18.; Kurtz, J.H., Church History,3 Voles, Vol. 2, New York, 1889., p.76.; Harrison T., Of Bridges, p.105.

وعن الهيكل الإداري والتنظيمي لتنظيم إخوان الجسور. انظر: الملاحق (**جدول رقم ٢**).

في نقل مواد البناء. أما عن الزي الذي كانوا يرتدونه، فقد كان عبارة عن زي بسيط؛ حتى يمكنهم من ممارسة أعمالهم اليدوية بسهولة ويسر [٤٧]، وكان يتكون من بدلة مصنوعة من الصوف الأبيض، ومرسوم عليها بقطعة قماش حمراء شكل المِعَول. وكان من بين أعضاء الهيكل الإداري والتنظيمي لتنظيم إخوة بناء الجسور، موظف مسئول عن ملابس التنظيم جميعًا، وكان يطلق عليه لقب "الخازن" [٤٨].

اتخذ أعضاء تنظيم إخوان الجسور –فى بداية أمرهم– مدينة أفينيون مقرًا لهم، بيد أنهم سرعان ما توغلوا تدريجيًا، وذاع صيتهم في أرجاء فرنسا؛ بفضل الأعمال الخيرية التي كانوا يؤدونها، ومن ثم صار لهم تنظيمات (إخوة) أخرى على غرار تنظيم إخوان الجسور في أفينيون مثل إخوان : ليون، والروح القدس، وبونباس، وقد كان هناك بعض أوجه الشبه والاختلاف بينهم لا سيما بين إخوان أفينيون، و ليون[٤٩]، ومن هذا المنطلق فقد انتشروا – بعد ذلك– في أنحاء القارة الأوروبية جميعًا مثل: إيطاليا Italy، وإسبانيا Spain، والبرتغال Portugal، وإنجلترا، وإسكتلندا Scotland، والدنمارك Denmark، والسويد Sweden[٥٠]، وحصلوا على الممتلكات والامتيازات العديدة، التي مكنتهم من القيام بأعمالهم، وبشكل مزدهر [٥١].

ثانيًا– مهام تنظيم إخوان الجسور:

بعد استعراض نشأة تنظيم إخوان الجسور وتأسيسه في جنوب فرنسا، نأتي الآن إلى أبرز المهام التي قام بها أعضاؤه، حيث انقسمت تلك المهام إلى قسمين، وهما: المهام الاجتماعية(الخيرية)، والمهام العمرانية (الإنشائية).

أ– المهام الاجتماعية(الخيرية):

ويقصد بها أعمال البر والخير، التي قاموا بها في جنوب فرنسا، وقد تمثلت في:

(47) Anonymos.,Chronicon universale ,p.28. ;Saint-Venant ,A.B.De.,Saint Benezet., p. 17.

(48) Saint-Venant, A.B.De., Ibid., p.18.; Kurtz, J.H.,Church History,Vol. 2, p.76.

(٤٩) فيما يتعلق بأوجه الشبه والاختلاف بين إخوان الجسور فى أفينيون، وليون. راجع الملاحق (**جدول رقم ٣**).

(٥٠) للمزيد من المعلومات حول إخوان الجسور في المناطق السابقة جميعًا. انظر:

Grégoire, H.,Recherces Historiques,pp.39-57.

(51)Canron,A., Histoire de Saint Bénézet,p.77.; Hélyot,P., Dictionnaire des orders, T.3,p. 240.; Kurtz,J.H.,Church History,Vol.2,p.76.;Chisholm,H.,"*Bridgebuilding Brotherhood*", In, E B.,Vol.4,11th edition.,(Cambridge,1911),p.531.;Leete,F.D.,Christian Brotherhoods, p.120.; Hostie, R., Vie et mort des orders religieux:approches psychosociologiques. Éd. Desclée de Brouwer, Bibliothèque d' études psycho-religieuses, Paris, 1972, p.207.; Mackey, A.G., Encyclopedia,Vol.1,p.263.; Neusner, J., Religions in Antiquity: Essays in Memory of Erwin Ramsdell Goodenough, Wipf and Stock, 2004, p.615.

١-توفير الرعاية الصحية للمرضى في المستشفى الذي أقيم على رأس الجسور:

فعند الفراغ من بناء جسر أفينيون، قرر أعضاء تنظيم إخوان الجسور إضافة مستشفى لتوفير الرعاية الصحية للمرضى، والاعتناء بالمسافرين والحجاج المتوجهين لزيارة بيت المقدس، خاصةً بعد تعرض الأخيرين للعديد من الأمراض لا سيما كبار السن منهم؛ بسبب ضعف مناعتهم التي لا تحتمل مشاق السفر الطويل. وقد كان مستشفى الجسر بجانب كونه مكانًا للاستشفاء -على حد تعبير أحد المؤرخين- بمثابة مأوى لإيواء الفقراء الذين يمرون على الجسر في وقت متأخر من الليل؛ لذا أُطلق عليه لقب "منزل الجسر"، وهو اللقب الذي أضافه أعضاء إخوان الجسور في أفينيون إلى ألقابهم [٥٢]، ومن هنا صار هناك ارتباط وثيق الصلة بين بناء الجسور والمستشفى [٥٣].

وقد وقع عبء الإشراف على هذا المستشفى على عاتق موظف مختص أطلق عليه اسم "الأسبتاري"Hospitaller، كان مسئولًا عن المستشفى المُلحق بالجسور ومخازنه، وأيضًا كان يقوم بتوزيع الصدقات به، وكان يتبعه عدد من الأطباء والأخوات(النساء) العاملين بذلك المستشفى [٥٤]. فمن الجدير بالملاحظة هنا أن تنظيم إخوان الجسور، كان يضم أيضًا بعض العضوات، اللاتي عملن في المستشفى الملحقة بالجسور، وكُن يتبعن الفرع الثالث من أفرع التنظيم (وهم الحرفيون) [٥٥]، حيث عاش أعضاء التنظيم كمجتمع شمل العديد من الإخوة والأخوات، الذين عاشوا حياة مختلطة بالنهار وأثناء العمل، لكنهم كانوا ينفصلون فقط وقت النوم [٥٦].

---

(52) Pansier, P.,Les hôpitaux d'Avignon au moyen âge :conférence faite à l'Association des anciens élèves de la rue Tête-Noire, à Avignon,(15 février 1907),p.6.;Le Blévec, D.,"*Une institution d'assistance*", dans, C F.,T.13,p.88.;Anderson,H.V.,"*Brotherhood in the Middle Ages* ",In, Mind,Vol.12,(New York 1913),p.451.

(53) Pansier,P.,"*Les anciens hôpitaux d'Avignon* ",dans, A A C V,T.15,(1929),pp.5-116.; Herbermann,C.G.,The Catholic Encyclopedia,Vol.2 of 15:An International Work of Reference on the Constitution, Doctrine, Discipline, and History of the Catholic Church, 2018, p.781.

(٥٤) مقامي، نبيلة إبراهيم، فرق الرهبان، ص ص ١٥٠-١٥١.

(55) Herbermann, C.G., The Catholic Encyclopedia, Vol. 2, p.781.

(56) Pansier, P., ' *Histoire de l'ordre* ', dans, A A C V,T.7,p.9.

وخير برهان على تواجد النساء وعملهن في ذلك المستشفى، ما ذكره المؤرخ "جاك دي فيتري" Jacques de Vitry [٥٧] في معرض حديثه عن مهام تلك المستشفيات الصغيرة قائلًا:

هناك تجمعات من الرجال والنساء، يعيشون وفقًا للنظام في منازل أو مستشفيات مرضى الجُذام. يخدم هؤلاء الإخوة والأخوات، المرضى بتواضع وتفانٍ، ويعيشون طبقًا لنظام القديس أوغسطين St. Augustin(٣٥٤-٤٣٠م)، وليس لديهم أي ممتلكات خاصة بهم، فكل شيء مشترك بينهم، ويرأسهم واحد منهم؛ ويرتدون الملابس الرهبانية، وقد عاهدوا الله على التمسك بالزهد، ويمارس هؤلاء الرجال والنساء حياتهم الشخصية باحترام وعفة، حيث يأكلون وينامون بشكل منفصل [٥٨].

ومن بين الشواهد الأخرى الدالة على تواجد النساء بين أعضاء الهيكل الإداري والتنظيمي لتنظيم إخوان الجسور أيضًا، أنه في شهر سبتمبر عام ١٢١٣م، باع أحد الأشخاص ويدعى" جيفروي مونييه" Geoffroy Meunier أرضه إلى سيدة تدعى "الديكارد" Aldicarde، كانت من بين عضوات تنظيم إخوان الجسور. ويبدو أنها كانت تعمل كوكيلة للعمل، ويعاونها رئيس الدير (أو القائد)"بيير بوفييه" Pierre Bouvier. وهذه الحقيقة ليست الفريدة في نوعها من بين سجلات مستشفى أفينيون، ففي شهر يوليو عام ١٢٠٣م، كان يوجد في مستشفى "دوراند هيو" Durand Hugues سيدة أخرى تسمي "ماري كانسيل" Marie Cancelle، قامت بشراء منزل لصالح: المستشفى، والفقراء، والإخوة والأخوات في المستشفى سالف الذكر [٥٩].

ويجب أن نضع في الاعتبار هنا، أن هذا المستشفى كان في بداياته ضئيل الأهمية وقت افتتاح الجسر للجمهور (في عام١١٨٨م)؛ بسبب أن مستشفيات ذلك العصر لم تكن مباني فخمة ومجهزة بكل ما تحويه الكلمة من معنى، فقد كان في حقيقة أمره عبارة عن

---

[٥٧] جاك دي فيتري: ولد في بلدة فيتري Vitry التي تقع على نهر السين بمملكة فرنسا في عام١١٨٧م، تلقى تعليمه في باريس، وصار من أبرز رجال الدين المرموقين هناك، وكان له دور بالغ الأهمية في الحروب الصليبية خلال القرن الثالث عشر الميلادي. انظر للمزيد:
دي فيتري، جاك، رسائل جاك دي فيتري نقلا عن اللاتينية "دراسة وثائقية في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب"١٢٠٠-١٢٤٠م، ترجمة وتعليق ودراسة د. عبد اللطيف عبد الهادي السيد، ط١، المكتب الجامعي الحديث، ليبيا، ٢٠٠٥م، ص ص٧-٨.

[58] Vitry, Jacques de., Histoire des Croisades, une introduction, des supplémens, des notices et des notes par M. Guizot, Paris, 1825, p.301.

[59] Pansier , P., "*Histoire de l'ordre* ", dans, A A C V, T.7,p.8.

مبانٍ صغيرة تتألف عادةً من غرفتين، أو ربما غرفة واحدة مقسمة بدورها إلى حجرتين بواسطة ستارة، أو بحاجز خشبي [٦٠].

ومن أمثلة المستشفيات التي أقامها أعضاء تنظيم إخوان الجسور على طرفي الجسور، مستشفى كل من: أفينيون، الذي أقيم على جسر أفينيون، والمستشفى الذي تم بناؤه على طرف جســـر الروح القدس Saint Esprit على نهر الـــرون [٦١]، وعُرف باسم "مستشفى الروح القدس"، والذي بدأ عمله بعد مرور عشرين عامًا من افتتاح الجسر لأول مرة أمام حركة المرور (عام ١٣٠٩م)، وكان يحتوي على: جناح كبير للضيوف؛ بالإضافة إلى أربع عشرة غرفة مخصصة للنساء، أو ربما للإخوة والأخوات الذين خدموا في المستشفى. وكان ذلك المستشفى يهتم بالمرضى الفقراء، والنساء الحوامل، والأطفال اللُقطاء، الذين خُصِص لهم مبني منفصـــل [٦٢].

وعندما تم حل تنظيم إخوان الجسور(عام١٣٠٨م)، وبات الجسر خاضعًا لإدارة علمانية–منذ عام ١٢٦٠م– ، اكتسب هذا المستشفى أهميـة خاصـــة، ولاح اسـمه في النصـوص التاريخيـــة للعيان [٦٣].

وإنصافًا للحقيقة، فإن أعضاء تنظيم إخوان الجسور؛ لم يكونوا وحدهم الذين قاموا بإنشاء مستشفيات داخل فرنسا، فقد كان من بين ملوك فرنسا أيضًا من أهتم بذلك الشأن أيضًا، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد الملك لويس التاسع، قد أهتم بمستشفى أوتيل ديورHotel Duor، وأمر في عام ١٢٦٠م بإنشاء مستشفى "كينز فان" Keynes Vannes؛ لعلاج فقراء العميان، وكذلك مستشفى لعلاج أمراض الرمد، فضلًا عن

(60) Ibid.,P.,"*Les Anciens hôpitaux*",dans,A A C V.,T.15, p.7.; Mognetti,E.," *Saint-Bénézet fondateur du Pont d'Avignon, Histoire et Légende: Catalogue des œuvres exposées*", in, M A V,T.5,7e série ,(1984),p. 101.

(٦١) سوف يتم الحديث عن هذا الجسر فيما بعد خلال صفحات البحث.

(62) Roure.L.B., Chronique et cartulaire de l'oeuvre des église,maison pont et hôpitaux du Saint-Esprit (1265-1791),Nimes,1895,p.6.; Paulus,N.,Indulgences,p.88.;Le Blévec,D.," *Une institution d'assistance*",dans,C F.,T.13,pp.96–98.;Brodman,J.W.,Charity and Religion, p.123.

(63) Pansier,P.,"*Les Anciens hôpitaux*",dans,A A C V.,T.15, p.7.;Mognetti,E.," *Saint Bénézet*",dans, M A V.,7e série,T.V,p.101.

المستشفيات العديدة في كل من: بونتوا Pontoise شمال غرب باريس، وفيرنونVernon شمال فرنسا، ومستشفى في شامبين، وباريس [٦٤].

٢- إيواء المسافرين وتوفير المتطلبات المعيشية لهم كافة:

بخلاف بناء الجسور، كان من بين مهام تنظيم إخوان الجسور أيضًا مهمة العمل على إيواء المسافرين، وتوفير المتطلبات المعيشية كافة اللازمة لهم، حيث كان لديهم نُزل (فندق)عند أحد مداخل الجسر لهذا الغرض، وقد كان هذا النُزل بمثابة مكان استغاثة يأوي إليه المسافرون والحجــاج الفقراء، مع تقديم الطعام والشراب للمحتاجين منهم، وتوفير سُبل الراحة جميعًا والهدوء لهم [٦٥]. ففي حالة ما إذا وصل المسافر متأخرًا من النهار؛ فإنه قد يجد أبواب المدينة وقد أغلقت أمامه، مما يضطره إلى المبيت خارجها في الهواء الطلق دون اعتبار من سكانها للظروف المناخية السيئة التي سوف يقضى فيها ليلته، أو للأخطار التي تهدده وأمتعته [٦٦].

ولما كان من بين مهام تنظيم إخوان الجسور، العمل على إيواء المسافرين، فقد كان من البديهي لا بد من أن تتوافر لديهم الإمكانات الضرورية كافة واللازمة للنهوض بتلك المهمة، حيث كان لديهم في واقع الأمر متطلبات الحياة الكريمة كافة مثل: قاعة مخصصة للطعام(منذ عام١١٩٦م)، وأخرى للنوم (في عام١٢٠٨م)[٦٧]، فضلًا عن ذلك، فقد سُمِح لهم-بعد عقد اتفاق في عام١٢٢٦م- بالحق في بناء كنيسة صغيرة على الجانب الأيسر للجسر، وهو ما أكد عليه أحد المؤرخين بقوله:

بموجب هذا(الاتفاق) نسمح لإخوان الجسور بتشييد كنيسة صغيرة على رأس جسرهم على نهر الرون على الجانب الأيسر، ونسمح لهم كذلك بامتلاك الأرض الواقعة على ضفاف نهر الرون خلفه بصفة دائمـة [٦٨].

---

[٦٤] السلمي، بسمة عمرو، *"إصلاحات الملك الفرنسي لويس التاسع الداخلية (١٢٢٦-١٢٧٠م)* "، مجلة بحوث كلية الآداب- جامعة المنوفية، المجلد٣٤، العدد١٣٤ (٢٠٢٣م)، ص ٢٠.

(65) Saint-Venant,A.B.De.,Saint Benezet,p.11.;Lallemand,L.,Histoire de la charité,T.III: Le Moyen-Âge (du Xe au XVIe siècle) ,Paris,1906,p.125.

[٦٦] محمد، كحلوش، دور التجارة، ص ٢٩.

(67) Grégoire,H.,Recherches Historiques,p.16.

(68) Ainay,Abbey.,Grand cartulaire de Abbaye d'Ainay suivi d'un autre cartulaire rédige en 1286 et de documents inedits,edited by Hippolyte André Suzanne le Comte de CharpinFeugerolles and Marie-Claude Guigue,2 Volumes,Vol.1,Lyon:Pitrat Aine,1885, no.76, p.146.

كما كان لديهم أيضًا فرن لصنع الخبز:" **وتصل هذه الكنيسة إلى الفرن الخاص بهم**"[٦٩]، وبالقياس فقد كان لديهم كذلك معصرة لعصر الزيـت والنبيـذ، ومطحنـة لطحـن الغلال.

ووفقًا لما هو معتاد آنذاك، فقد تم ربط بنـاء الكنائس –التي أقيـم بعضـها على امـتداد الجسـر– بالجسـور [٧٠]. هذا وقد كانت تلك المنشآت جميعًا سالفة الذكر سواء: الجسر، أم المستشفى، أم الكنيسة، كانت خاضعة جميعًا لسلطة "روسـتان الثالـث مارجريـت"Rostaing III de Marguerite رئيس أساقفة أفينيون(١١٨٠–١١٩٦م)، ومعفاة –في الوقت ذاته– من أداء الرسـوم والضرائب جميعًا [٧١].

٣– مساعدة الحجاج والمسافرين على عبور الأنهار:

فمن الراجح أن الذي حدا بالقديس "بينيزيه" للقيام بإنشاء جسر على نهر الرون؛ إنما يعزي إلى غرق العديد من المسافرين، والحجاج، والأهالي عند عبورهم لذلك النهر؛ نظرًا لاتسـاع مجـراه، وعمقه من ناحية، وشـدة الرياح في تلك المنطقـــة من ناحية أخرى [٧٢]. بناءً على ذلك يمكن القول، إن تلك الأمور جميعًا، قد جعلته (بينيزيه) يشعر بضرورة أنه يتحتم عليه، كشاب مُحب لفعل الخير للآخرين، وتقديم يد العون للمحتاجين والفقراء منهم، العمل على بناء جسر فوق هذا النهر؛ حتى يتمكنوا من العبور عليه بسلام وأمان، ويتجنبون الوقوع في مخاطر الغرق[٧٣]، خاصة في الأوقات التي تكون فيها الرياح شديدة، والأمواج عالية، أو عندما تفيض مجاري المياه؛ بسبب الفيضانات الشديدة المتكررة، والأمطار الغزيرة، أو بفضل ذوبان الثلوج في مياه النهر[٧٤] ، "**ذلك أن نهر الرون قد عُرف عنه أنه نهر قوي، وسريع التدفق والجريان، يحمل في تياره المياه الباردة والعارمة**

(69) Ainay,abbey .,Loc.Cit.
(70) Neusner ,J.,Religions in Antiquity,p.615.
(71) Nouguier,F.,Histoire chronologique,p.61.;Saint-Venant,A.B.De.,Saint Benezet,p.53.; Canron, A., Histoire de Saint Bénézet,p.70.;Brodman,J.W.,Charity and Religion, p.124.
(٧٢) فيما يتعلق بجغرافية نهر الرون في العصور الوسطى. راجع:
Rossiaud ,J.,Le Rhône au Moyen Âge: histoire et représentations d'un fleuve Européen, Paris,Aubier, 2007.
(73) Mackey, A.G.,Encyclopedia,Vol.1,pp.262-263.
(74) Leete,F.D.,Christian Brotherhoods,p.120.;Boyer,M.N.,"*The Bridgebuilding*", In, Spec.,Vol.39,N.4,pp.635-650.;Le Blévec,D.,"*Une institution d'assistance*",dans,C F.,T. 13, pp.77-78.

المنبجسة من ذوبان ثلوج الألب وجليده، والكتل المتكورة والمتدحرجة الضخمة من الرمال، والأوحال، والحصباء الصخرية"[٧٥].

ومن بين الأشياء الأخرى التي كان يتعرض لها الحجاج والمسافرون عند عبورهم الأنهار أيضًا؛ أن الأجواء الضبابية الكثيفة، كانت كثيرًا ما تجعل الرؤية سيئة للغاية، مما يحول عادةً بين رؤية المسافرين للمعابر والجسور الخشبية لعبور الأنهار، وبطبيعة الحال، فإن هذا الأمر قد حَتّم عليهم (أي المسافرين) اللجوء إلى طلب مساعدة مُرشد لهم؛ بُغية أن يدلهم على الطريق الصحيح، وإن كان هذا الفعل لا يخلو بلا شك من الوقوع في المخاطر؛ حيث يجد المسافر نفسه وقد وقع فريسة في يد من اختاره لكي يدله على الطريق، لا سيما مع كثرة اللصوص آنذاك [٧٦].

ومما زاد الطين بلة، الضرائب الباهظة التي كانت تفرض على المسافرين والحجاج نظير عبورهم الأنهار، والتي كان يقوم بفرضها؛ إما السادة الإقطاعيين التي تمر الجسور عبر أراضيهم؛ وإما ربابنة السفن الموجودون على نهر الرون، ولتحقيق تلك المهمة(القيام بمساعدة المسافرين والحجاج على عبور الأنهار)، فقد كان يتحتم على أعضاء تنظيم إخوان الجسور بطبيعة الحال ضرورة امتلاك حق العبور، وشراء الأراضي التي تمر بها الجسور من السادة الإقطاعيين، ذلك أنه بمجرد اكتمال جسر أفينيون، وجد أعضاء تنظيم إخوان الجسور أمامهم مأزقًا، وهو أنهم لم يعوضوا ربابنة ميناء الرون عن فقدانهم حقوق العتالة (العبور)، حيث عَدَّ الأخيرون أن التعويض المالي الممنوح لهم من جانب أعضاء التنظيم غير كافٍ، ومن هنا نشب الخلاف بين أعضاء التنظيم، وبين ربابنة الميناء، وقد ذهب ضحية هذا النزاع في حقيقة الأمر الحجاج والمسافرون التعساء، الذين اضطروا إلى دفع المزيد من الرسوم وبشكل مضاعف مما حَمّلهم فوق استطاعتهم نظير عبورهم الجسر [٧٧].

---

(75) Coulon, L., Les Rivieres De France, Ou Description Geographique & Historique du cours & débordement des Fleuves, Rivieres, Fontaines, Lacs & Estangs qui artousent les Provinces du Royaume de France : Auec vn Denombrement des Villes, Ponts, Passages ..., Vol.2, Paris, 1644, p.7.

انظر أيضًا: بروديل، فرنان، هوية فرنسا، المجلد الأول: المكان والتاريخ، ترجمة: بشير السباعي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة،١٩٩٩م، ص ٢٦٩.

(٧٦) محمد، كحلوش، دور التجارة، ص ٢٩.

(77) Pansier, P., "*Histoire de l'ordre*", dans, A A C V, T.7, p.12.; Le Blévec, D., "*Une institution d'assistance*", dans, C F., T.13 , p.107.

وفي هذا الإطار، ومن أجل التصدي لحل تلك المشكلة الأخيرة، قام أعضاء تنظيم إخوان الجسور بشراء حق العبور على الأنهار من سادة(مُلاك) ميناء الرون، بعد إقناعهم بالتخلي عن الرسوم والضرائب، التي كانوا يحصلون عليها من المارة والمسافرين نظير عبورهم على الجسر، مع تعويضهم عنها بمبالغ مالية. وكان يقوم بمراجعة عمليات البيع والشراء تلك، موظف مسئول من بين أعضاء تنظيم إخوة بناء الجسور، وكان يختص بأمور التنظيم وحساباته المصرفية، ويطلق عليه اسم "مسئول الخزانة"Drapier [٧٨].

ولعل من أبرز الأمثلة الدالة على عمليات البيع والشراء للممتلكات والأراضي التي قام بها أعضاء تنظيم إخوان الجسور في فرنسا ما يلي:

قام أحد أثرياء مدينة أفينيون، ويدعى "برتراند دي غارديا" Bertrand de Gardia في شهر مايو عام١١٨٧م، ببيع الحقوق جميعًا التي يتمتع بها على ميناء الرون، والضرائب التي يتم تحصيلها من المارة هناك لـ"جون بينيدكت"John Benedict (أو بينوا Benoît) – أول خليفة للقديس بينيزيه في رئاسة تنظيم إخوان الجسور– والقائم بأمر الجسر، والممثل عن بقية أعضاء التنظيم الآخرين، وذلك نظير مبلغ ألف وسبعمائة وخمسين صولدى. وقد تم إجراء هذا البيع في غرفة القنصـــل "بروكـــارد" Brocard بحضور" روســتان الثالث" رئيس أســاقفة أفينيـــون [٧٩]. كما قامت سيدة تدعي "أنستاسيا" Anastasia هي الأخرى بالتنازل عن حقوقها(نصيبها) في الجسر لجون بينيدكت سالف الذكر بمبلغ سبعمائة وخمسين صولدى [٨٠].

وفي هذا المضمار أيضًا، اشترى "بونس دي بوكيه" Pons de Boquet–رئيس تنظيم إخوان الجسور(١١٩٢–١١٩٦م) – في يوم الأحد من شهر نوفمبر عام ١١٩٢م منزلًا وحديقة في منطقة روجنوناسRognonas [٨١] بثلاثمائة وخمسين صولدى، وبالمثل في شهر إبريل عام ١١٩٣م، تم بيع أراض في المنطقة سالفة الذكر لصالح "بونس" وبحضور القناصل وقاضى أفينيون. وفي شهر فبراير عام١١٩٥م اشترى كل من "بونس" بصفته رئيس تنظيم إخوان الجسور، ومعه كل من: "بيير دوجاردان"Pierre Dujardin،

---

[٧٨] مقامي، نبيلة إبراهيم، فرق الرهبان، ص ١٥١.

[79] Saint-Venant, A.B.De.,Saint Benezet,p.11.

[80] Bouche,H.,La Chorographie ou Description de Provence, et l'histoire chronologique du mesme pays,Vol.1,Aix,1664,p.850.;Saint-Venant,A.B.De.,Saint Benezet,p.53.;Morel., Un résumé de l'histoire d'Avignon,T.1,p.106.

[٨١] لم يستدل الباحث على موقع تلك المنطقة بالتحديد، وعلى ما يبدو أنها تقع بالقرب من مدينة أفينيون.

و"جان دوسستير" Jean Dusestier نيابةً عن بقية أعضاء تنظيم إخوان الجسور، من "جيراود أميك" Géraud Amic حقوقه في ميناء الرون وجسره بثلاثمائة وستين صولدى [٨٢].

وفي شهر يوليو عام١١٩٩م ابتاع "إتيان دي ميسينديا"Étienne de Misendia رئيس تنظيم إخوان الجسور (يوليو١١٩٩-١٢١٣م) من "ويليام" Guillaume عميد كنيسة أفينيون، الحقوق التي كانت تمتلكها كنيسة "نوتردام دو شاتو" Notre Dame du Château في ميناء الرون. وفي شهر يوليو عام ١٢٠٤م، ظهر اسم "إتيان دي ميسينديا" بصفه (مقدم الدير) مرة ثانية في أثناء عملية التبرع التي قدمها "رايموند دي أنجلز" Raymond des Angles لأعمال الجسر، وذلك من خلال الحقوق جميعًا التي يمتلكها في جزيرة بالانكاس Balancas. كما ظهر "إتيان "مرة أخرى في شهري أكتوبر عام ١٢٠٥م، ومارس عام١٢٠٧م عند شراء الحقوق على ميناء الرون. كما اشترى أيضًا(إتيان) في شهر يونيو عام ١٢٠٨م ست قطع من الأرض، ومزرعة عنب في منطقة روجنوناس بسبعمائة صولدى؛ وفي شهر مايو سنة ١٢٠٩م، أنهى (إتيان) نزاعًا كان قائمًا على حديقة في المكان نفسه؛ وفي شهر مايو عام١٢١٣م اشترى حديقة أخرى هناك بمائتين صولدى. من هنا يمكن القول، إن جسر أفينيون قد حاز على ممتلكات واسعة النطاق في منطقة روجنوناس، وبناءً على ذلك، قام "ويليام دي مونتليه" Guillaume de Montlier رئيس أساقفة أفينيون (١٢٠٩-١٢٢٥م) في شهر يونيو ١٢١٣م، بمنح "إتيان" أبرشية هذه المنطقة سالفة الذكر، مقابل قيام الأخير بدفع إيجار سنوي راوح قدره اثنان صولدى للكاهن الخاص بكنيسة نوتردام دي دوم Notre-Dame des Domes [٨٣].

مما سبق يتضح لنا مدى الدور المؤثر، والفعال الذي كان يقوم به أعضاء تنظيم إخوان الجسور في المجتمع الفرنسي خلال فترة القرن الثاني عشر الميلادي، فها هم يمتلكون الأموال الطائلة، التي قاموا بجمعها من خلال التبرعات والصدقات والامتيازات التي منحها لهم النبلاء الفرنسيين، مما ترتب عليه أن تكدس الثروات في أيديهم، حيث مكنتهم تلك

(82) Pansier, P., *"Histoire de l'ordre* ", dans, A A C V,T.7,p.40.
(83) Ibid.,dans, A A C V,T.7,pp.16-17.;Boyer,M.N.,"*The Bridgebuilding*",in,Spec.,Vol.39, N. 4 , p.640.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٣م

الأموال من شراء المزيد من الأراضي والممتلكات من أجل بناء الجسور، ويفهم من ذلك زيادة نفوذهم وسطوتهم داخل المجتمع الفرنسي. ولعل هذا الأمر يفسر لنا – فيما بعد– السبب وراء محاولة النبلاء الفرنسيين السيطرة عليهم، وحل تنظيمهم، والاستيلاء على ما لديهم من أموال، كما فعل الملك فيليب الرابع مع تنظيم الداوية، حيث قام بحله عام ١٣١٢م.

٤– حماية الحجاج والمسافرين من اعتداءات قطاع الطرق واللصوص:

ويدخل ضمن نطاق مهام تنظيم إخوان الجسور كذلك، العمل على حراسة الطرق، وحماية المارة والحجاج والمسافرين وأمتعتهم من اعتداءات قُطاع الطرق، واللصوص، الذين شكلوا حينذاك عصابات وفرقًا مأجورة [٨٤]، وعملوا على بث الذعر والرعـــب في نفوس المارة والسكان المحليين على حدٍ سواء؛ أو حمايتهم في الوقت نفسه من التعرض للابتزازات من بعض البارونات الخارجين عن القانون، والذين أعطوا لأنفسهم الحق في فرض الإتاوات على كل عابر سبيل يمر بأراضيهم [٨٥].

ففي غضون ذلك، كانت أعمال السلب والنهب والقتل، قد انتشرت بكثرة؛ نتيجةً للحروب الأهلية المُستعِرة بين السادة الإقطاعيين، وهي الحروب التي كانت تلقى بويلاتها على هؤلاء المسافرين والمارة الأبرياء معًا، من خلال سياسة الأخذ بالثأر، والانتقام التي كان يتبعها الطرفان المتخاصمان بطبيعة الحال، فيقومون بفرض غرامات على مستخدمي الجسور والطرق؛ لتعويض خسائرهم الناجمة عن تلك الصراعات، وهو ما اضطر الحجاج والمسافرين إلى اللجوء للسفر في تجمعات لدفع تلك الاعتداءات الغاشمة عنهـم [٨٦].

أضف إلى ذلك أنه منذ نهاية القرن الثاني عشر، وحتى بداية القرن الثالث عشر الميلاديين، كان النبلاء والسادة الإقطاعيون ما يزالون يتمتعون باستقلال تام في حكم إقطاعاتهم الخاصة لقاء دفع بعض المبالغ المالية دليلًا على صدق ولائهم للعاهل الفرنسي، غير أن تلك الاستقلالية، قد ترتب عليها في واقع الأمر قيامهم(السادة الإقطاعيين) بشن

---

[٨٤] بشأن الفرق المأجورة في جنوب فرنسا. راجع: حسن، محمد دسوقي محمد،" *الفرق المأجورة في جنوب فرنسا وسبل مواجهتها ١٣٦٠-١٣٧٠م*"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، جامعة بني سويف-كلية الآداب، العدد٢١، ج١، (٢٠٢١م)، ص ص ٢٦٧ – ٣١٧.

[85] Hélyot,P.,Dictionnaire des Ordres,T.3,p.238.;Mackey,A.G.,Encyclopedia,Vol.1,p.262.

[86] Céline,P.,Faire la route,IIIe-XXe siècle,Presses universitaires Blaise-Pascal Clermont-Ferrand ,2007,p.60.

راجع أيضًا: محمد، كحلوش، دور التجارة، ص٣٠.

حملات عسكرية على:المسافرون، والتجار، وكذلك الإغارة على ممتلكات جيرانهم الضعفاء من غير القادرين على حمايتها؛ وذلك بغرض ابتزازهم والاستيلاء على ما لديهم من أموال، هذا فضـــلًا عن سرقة الكنائـــس وما تحتويه من مقتنيـــات وتُحف فنية نفيسة؛ وذلك كله بُغية الترويـــح عن أنفسهم، وكســـر ملل ورتـــابة العيـــش داخل قلاعهـــم الإقطاعيـــة [٨٧]. ولم يقتصر هذا السلوك على السادة الإقطاعييـــن وحدهم فحســـب، بل شاطرهم فيه أيضًا بعض الملوك الفرنسيين أنفسهم، ومثالًا على ذلك الملك فيليب الأول Philippe I (١٠٥٩-١١٠٨م) [٨٨]، الذي كان يترصد للتجار عند أطراف الغابات، وقت ذهابهم للمعارض التجارية؛ بهدف الاستيلاء على ما لديهم من أمتعة ومقتنيـــات [٨٩].

ومما زاد الوضع سوءًا وتعقيدًا في جنوب فرنسا حينئذ- إلى جانب الصراعات الأهلية الدائرة بين السادة الإقطاعيين- استمرار الحروب الطاحنة بين ملوك أراغون Aragon[٩٠]، ونافارNavarre[٩١]، تلك الحروب التي ظلت مشتعلة بين الطرفين منذ عام ١١٤٧م، وحتى عام ١١٦٠م، وترتب عليها انتشار فلول من جماعات: الأراجونيين، والنافاريون، والباسكيون(سكان إقليم الباسك) مدعومين بقُطاع الطرق، الذين تم تجنيدهم كجنود المرتزقة، مما ترتب عليه تحول العديد من المناطق في جنوب فرنسا ووسطها إلى أماكن مهجورة يتجمع فيها اللصوص، وقُطاع الطرق لنشر الرعب في نفوس الأهلين[٩٢].

ومن الأمثلة الدالة على انتشار اللصوص وقطاع الطرق آنذاك، شهادة أحد المؤرخين، التي ذكر فيها التعديات التي قام بها اللصوص وقطاع الطرق في جنوب فرنسا، خاصة في منطقة لانجدوك عقب دخولهم إلى مدينة مويساك Moissac، حيث قاموا بقرع أجراس المدينة بشكل متواصل وبقوة كتعبير عن التحدي، والنشوة بهذا النصـر[٩٣]. ومن

---

(87) Géraud,H.,"*Les Routiers au douzième siècle*", In, B E C, T.3, Paris,1842,p.125.

(٨٨) فيليب الأول: ابن هنري الأول Henry Iملك فرنسا(١٠٠٨-١٠٥٦م) من زوجته الثانية "آنا ياروسلافنا" من كييفAnna Iaroslavna of Kiev . تعتبر فترة حكمه من أطول فترات الحكم بين ملوك فرنسا، حيث حكم أكثر من ثمانية وأربعون عاماً. للمزيد عن هذا الملك راجع:

Prou,M.(Ed.).,Recueil des actes de Philippe I[er], roi de France (1059-1108),Paris, 1908,p.XV.

(89) Frédéric,M.,La France au Moyen Age, paris, Germer Bailliere et cie,1865, p.25.

(٩٠) أراجون: منطقة تقع في شمال شرق إسبانيا، ومتاخمة لجبال البرانسPyrenees . راجع:

Canby, C., Encyclopedia, p.58.

(٩١) نافار: تقع في شمال إسبانيا، وتحدها من الشمال فرنسا، ومن الجنوب منطقة لاريوخا، ومن الشرق والجنوب الشرقي منطقة أراجون، ومن الغرب منطقة إقليم الباسك. انظر: Canby ,C.,Ibid.,p. 894.

(92) Géraud,H.,"*Les Routiers au douzième siècle*",dans,B E C,T.3,p.125.

(93) Géraud, H., Ibid., p.126.

القرائن الأخرى التي تؤكد على انتشار اللصوصية وقُطاع الطرق في جنوب فرنسا كذلك، أنه في عام ١١٢٧م تمكنت جماعـــة من اللصوص من الدخـــول إلى منطقـــة ليـموزينLimousine [٩٤]، حيث عبروا جسر تيرسونTerrsson، ودخلوا أراضي إيساندون Issandon بقيادة زعيمهم المسمى "كورباران"Curbaran [٩٥]، وفرضوا سيطرتهم على برج المدينة بعدما نجحوا في اقتحامه [٩٦].

من هذا المنطلق، بات أمر التنقل، والسفر محفوفًا بصنوف المخاطر المختلفة مثل: عدم العثور على سكن للمبيت، والتعرض لنهب اللصوص وقُطاع الطرق، وقبل ذلك كله مجابهة خطر عبور الأنهار ذات المسارات المتعرجة والواسعة والمليئة بالمزالق (كالصخور، والدوامات، والتيارات العنيفة)، علاوة على الخيالات (التَهيُآت) التي كان يصورها بسهولة خيال المسافر له في بيئة النهر، خاصة مع انتشار الظلام الدامـــس [٩٧]، لدرجة أن بعضهم كانوا يحملون معهم أثناء سفرهم بعضًا من آثـــار القديســـين؛ بُغيـــة التبرُك بها، أو طلبًا للحمايـــة [٩٨].

والمُتمعن في الأمر يرى أن أعضاء تنظيم إخوان الجسور بعملهم هذا (وهو حراسة الطرق وبناء الجسور وصيانتها على الأنهار الرئيسة)، قد أسهموا بشكل غير مباشر، وبدور منقطع النظير لا يدع مجال للشك في انتعاش حركة التجارة آنذاك، ذلك أن أشد ما كان يخشاه التجار والمسافرون حينذاك هو تعرضهم أثناء سفرهم لمهاجمة قُطاع الطرق، ومن ثم باتوا في مأمن من اللصوص وقطاع الطرق، بعد حراسة أعضاء تنظيم إخوان الجسور

---

[٩٤] ليموزين: مقاطعة تقع فى جنوب فرنسا، يحدها المارش Marche شمالًا، وكويرسي Quercy جنوبًا، وأوفيرني شرقًا، وأنجموا Angoumois، وبريجورد Périgord من جهة الغرب. راجع:
Bouillet,M.N.,Dictionnaire universel d'histoire et de géographie,Paris,1878,p.1097.

[٩٥] كورباران: أحد الأشخاص الذي اشتهروا باللصوصية وقطع الطريق في فرنسا خلال القرن الثاني عشر الميلادي، خدم في بدايته تحت قيادة الملك الفرنسي فيليب الثاني أوغسطس، ثم تحول بعدئذ إلى قطع الطريق، وانتهى به المطاف إلى أن صدر الحكم بالإعدام ضده فمات مشنوقًا في عام ١١٨٣م .راجع: محمد، كحلوش، دور التجارة ، ص ص ٣١-٣٢.

[96] Bonaventure de Saint-Amable,le R.P.,Histoire de S.Martial apôtre des Gaules,et principalement de l'Aquitaine et du Limosin,ou la défense de son apostolat; contre les critiques du temps:Cet ouvrage peut servir a toutes les provinces de France pour défendre leurs Apôtres & l'antiquité de la religion chrétienne. Divisée en douze livres.,T.3, Alimoges 1685, p. 511.

[97] Le Blévec,D.,"*Indulgences et quêtes,à propos des œuvres de pont de la vallée du Rhône*",In,Ablasskampagnen des Spätmittelalters. Luthers Thesen von 1517 im Kontext, (2017), p.272.

[٩٨] محمد، كحلوش، دور التجارة، ص ص ٢٨-٢٩.

للطرق، فقد كان من بين أعضاء التنظيم موظف وهو المارشال Marshal، كان مسئولًا عن الإدارة العسكرية للتنظيم، حيث كان يقوم بتوفير الأسلحة والمؤن الحربية من أجل القيام بحراسة الطرق والجسور من اللصوص. وقد ترتب على ذلك أن صار التجار فى مأمون على أنفسهم وعلى بضائعهم على حد سواء، وهو مما نتج عنه ازدهار التجارة، فضلًا عن استخدام الطرق البرية والنهرية المتقاربة في المدينة بكثرة، مما عاد بالخير والنفع العام على سكان مدينة أفينيون، وبطبيعة الحال فقد استفاد من هذا الازدهار الاقتصادي أيضًا- وبشكل كبير- بارونات المدينة سالفة الذكر؛ وذلك من خلال تكثيف التجارة على جسر أفينيون [٩٩].

٥-دفن الموتى:

إلى جانب ما سبق، كان من بين مهام تنظيم إخوان الجسور أيضًا، قيامهم بدفن من يتوفى من المسافرين والحجاج المارين عبر الجسور، لا سيما بعدما تبرع رجال الدين الفرنسيون بأكفان لدفن أولئك الذين لقوا حتفهم أثناء رحلات سفرهم[١٠٠]، وذلك بعدما طلب أعضاء التنظيم في عام ١١٨٧م بأن يسمح لهم بالحصول على كنيسة ومقبرة لدفن موتاهم، وموتى الأجانب من المسافرين والحجاج من عابري الجسور، غير أن طلبهم-في البداية- قد قوبل بالرفض من رئيس كاتدرائية" نوتردام دي دوم"Notre-Dame des Domes بأفينيون؛ وذلك حتى لا يقوم أهالي مدينة أفينيون بدفن موتاهم في تلك المقبرة، والتملص من دفع رسوم الدفن المستحقة للكنيسة المحلية في أفينيون وإهمالها[١٠١]، بيد أنه وبعد توسط "روستان الثالث" أسقف أفينيون في الأمر، تمكن "جون بينيدكت" -أول خليفة للقديس بينيزيه في رئاسة التنظيم-، في شهر أغسطس من عام ١١٨٧م، من عقد اتفاق حصل بمقتضاه لأعضاء تنظيم إخوان الجسور على: كنيسة، وقسيس، ومقبرة [١٠٢]، وكانت الأخيرة مخصصة لدفن موتى أعضاء التنظيم، وموتي الغرباء فقط، هذا وقد تم إبرام هذا الاتفاق على يد "ويليام دي ريالي" Guillaume de Reali، حاكم مدينة أفينيون، في حضور "روستان الثالث" رئيس أساقفتها. ومن الراجح أن

(99) Guillemain,B.,Avignon au Moyen âge:textes et documents, publ.par l' institut de recherches et d'études du bas Moyen Age avignonnais,Avignon,1988,p.25.
(100) Brodman,J.W.,Charity and Religion,p.123.
(101)Pansier,P.,"*Histoire de l'ordre* ",dans, A A C V,T. 7, p.13.
(102) Grégoire,H.,Recherches Historiques,p.16.

إجراءات دفن هؤلاء الموتى من الحجاج والمسافرين، كان يقوم بها رجال الدين أنفسهم في التنظيم [١٠٣].

ويتبادر إلى الذهن سؤال هنا، وهو هل كان أعضاء تنظيم إخوان الجسور يحصلون على مقابل مادي نظير قيامهم بتلك الأعمال والمهام جميعًا؟ وللإجابة عن هذا السؤال يمكن القول إنهم في حقيقة الأمر، كانوا منذ البداية يقومون بأعمالهم الخيرية السابقة جميعًا دون أخذ مقابل مادي، لكن بعد ذلك؛ ونظرًا لكثرة النفقات التي كانوا يحتاجونها للاستمرار في القيام بأعمالهم الخيرية، فقد صاروا يؤدونها لقاء رسوم زهيدة، مع إعفاء الفقراء منها [١٠٤].

ب- المهام العمرانية (الإنشائية):

أما القسم الثاني من مهام تنظيم إخوان الجسور، فهو المهام العمرانية، ويقصد بها مهامهم في بناء الجسور والمنشآت التي أقاموها عند رؤوس الأنهار في جنوب فرنسا وذلك بداية منذ عام١١٧٧م، وتلك المنشآت مثل:(الجسور، والمستشفى، والمنزل، والكنيسة) ، حيث شعروا بأن عملهم هذا (بناء الجسور وصيانتها) لا يقل أهمية عن أي عمل آخر يقوم به غيرهم من الأشخاص في بناء الكنائس[١٠٥]، وقد قام بأعمال البناء الفعلية للجسور، الحرفيون(البناءون)، وهم الفرع الثالث من فروع الهيكل الإداري والتنظيمي لتنظيم إخوان الجسور، ومن ثم فإنهم قد أسهموا بهذه الطريقة في تطوير فروع الصناعة المختلفة في فرنسا، وكانوا يُعَدُّون من نواحٍ عديدة من بين مرممي العمارة في الغرب الأوروبي في العصور الوسطى[١٠٦]. ولعل من أبرز تلك الجسور التي قاموا بإنشائها:

١-بناء جسر أفينيون Pont Avignon:

وقد شرع القديس "بينيزيه" في تشييده -كما سبق القول-في عام١١٧٧م، على نهر الرون، ويمتد بين مدينة أفينيون، وفلينوف ليه أفينيون Villeneuve-lès-Avignon، وهو

(103) Bouche, H., La Chorographie, p.850.; Saint-Venant, A.B. De., Saint Benezet,p.53.; Morel., Un résumé de l'histoire d'Avignon,T.1, p.106.

(104) Grégoire, H., Recherches, p.41.

(105) Courtet, J., Dictionnaire Géographique Historique, Archéologique et Biographique des communes du département de Vaucluse, Avignon, 1857, p.45.; Lallemand, L., Histoire de la charité, T.3, p.124.

(106) François, marquis de Ripert-Monclar., Bullaire des indulgences concédées avant 1431 à l'œuvre du pont d'Avignon par les souverains pontifes, Monaco-Paris, 1912, No.2, p. xvii.

بطول ٤٤٧ مترًا، وكان يتألف من ثمانية عشر قوسًا [١٠٧]، وتم الانتهاء من تشييده في عام١١٨٨م، أي أن العمل فيه قد أستغرق عشر سنوات [١٠٨]، لكنه تعرض للتدمير في عام١٢٢٦م أثناء الحصار الذي فرضه الملك الفرنسي لويس الثامن على مدينة أفينيون، واستمر لثلاثة أشهر (١٠يونية-١٠سبتمبر عام١٢٢٦م)، في حملته الصليبية ضد الهراطقة الألبجنسيين، وانتهى هذا الحصار باستسلام سكان المدينة [١٠٩]، وخلال ذلك الحصار" **تم تدمير الجسر**"[١١٠].

وبحسب اقتراح المؤرخين، فقد بدأت مرحلة إعادة ترميم الجسر خلال الفترة ما بين عامي(١٢٣٤-١٢٣٧م)، لكنها تمت بشكل مؤقت؛ حيث استخدم فيها إطارات من الخشب قائمة على بنية من الحجر، لكنها لم تتحمل قوة اندفاع مياه الفيضانات الشديدة، وسرعان ما جرفتها تلك الفيضانات بعيدًا، ومن ثم ظلت عملية إعمار الجسر وترميمه قائمة لفترات طويلة ولم تتوقف[١١١]، وأثناء ذلك، كان أعضاء تنظيم إخوان الجسور يستخدمون القوارب كأداة لمساعدة الناس في عبور النهر، وعلى الرغم من أن أعمال الترميم كانت تستنزف معظم الأموال التي في حوزة أعضاء التنظيم؛ فإن ما تبقي منها، كان يتم توزيعه بالتساوي على الفقراء والمحتاجين، الذين كانوا يأتون إلى الجسر للاستجداء مرتين أو ثلاث مرات خلال الأسبوع [١١٢].

---

(107) Wahlen, A., Nouveau Dictionnaire De La Conversation : Ou Répertoire Universel De Toutes Les Connaissances Nécessaires, Utiles Ou Agréables Dans La Vie Sociale, Et... Etc., Avec Des Notices,1844, p.183.

(108) Courtet, J., Dictionnaire Géographique Historique, p.45.; Lentheric, C., Le Rhône Histoire d'un fleuve, Paris,1905, p.252.; Le Blévec, D., "*Une institution d'assistance*", dans, C F., T.13, p.92.

(109) Viard,J., Les grandes chroniques, T.7,p.20.;Dutaillis, C.P., Étude sur la vie et le règne de Louis VIII,(1187-1226),Paris,1894,p.266.;Joudou,De J.-B.-M., Avignon, son Histoire, p.60.

وبشأن حصار الملك لويس الثامن لمدينة أفينيون في عام١٢٢٦م. راجع:

Zerner, M., "*Le siège d'Avignon par Louis VIII (10 juin-10 septembre 1226)*",dans Avignon au Moyen Âge,(Avignon 1988), pp.43-52.

(110) Puylaurens, W., The Chronicle of William of Puylaurens : The Albigensian Crusade and its Aftermath, trans. with introd., notes,and appendices by W. A. Sibly and M.D. Sibly, Boydell, 2003,Ch.XXXIII,p.71.

(111) Marié, D. M., Le pont Saint Bénézet, p. 145.; Rouquette, J.M., Provence Romane: La Provence Rhodanienne (in French, English, and German), Paris,1974,pp. 223–224.

(112) Le Blévec, D., "*Une institution* ", dans, C F., T.13, p.93.

بعد ذلك تم إعادة بناء الجسر من الحجر، وكان يحتوي على اثنين وعشرين قوسًا، وواحدًا وعشرين رصيفًا، ويبلغ طوله حوالي تسعمائة مترًا (٩٨٠ ياردة)، وقد تراوحت المسافات بين الأرصفة ما بين ٣٧ و٥٢ مترًا (١٢١ و١٧١ قدمًا) [١١٣]. كان عرض الجسـر ٤.٩ أمتار فقط (١٦ قدمًا وبوصة واحدة)، بما في ذلك الحواجـــز على الجانبيـــن [١١٤]. وبحلول القرن السابع عشر الميلادي كانت حالة الجسر سيئة للغاية، "**ففي عام١٦٤٤م سقط أربعة أقواس منه، وعندما حدث فيضان عام١٦٦٩م جرف المزيد من هياكل الجسر**"[١١٥].

٢- بناء جسر الروح القدسPont Saint Esprit :

من الراجح أن الفائدة العائدة من إنشاء جسر أفينيون، فضلًا عن السمعة الطيبة التي نالها أعضاء تنظيم إخوان الجسور في أفينيون؛ بفضل الأعمال الخيرية التي قاموا بها، ربما قد شجعت سكان سان ساتورنين Saint-Saturnin بشمال المدينة السالفة الذكر على القيام ببناء جسر مماثل هناك عرف باسم "جسر الروح القدس"[١١٦]، وبالفعل فقد تم البدء في بنائه على نهر الرون في ١٢ سبتمبر عام١٢٦٥م، واستغرق العمل قرابة الثلاثين عامًا، وقد تم الانتهاء منه في عام١٣٠٩م [١١٧].

وقد شاهد الحاج الأيرلندي "سيمون سيمونيس" Symon Semeonis [١١٨] بنفسه جسر الروح القدس، أثناء رحلته التي قام بها للحج إلى بيت المقدس(فلسطين) في عام ١٣٢٣م، حيث وصفه بالكلمات التالية:" **جسر حجري شهير، شيد فوق نهر الرون، يبلغ**

---

[113] Vella, M. A.; et al.; "*Géoarchéologie du Rhône dans le secteur du pont Saint-Bénézet (Avignon, Provence, France) au cours de la seconde moitié du deuxième millénaire apr. J.-C.: étude croisée de géographie historique et des paléoenvironnements*" ,In, G R P E, 19 (3),pp.287-310.

وللمزيد من التفاصيل عن الجانب الهندسي والمعماري في بناء جسر أفينيون. راجع:

Marié, D.M., Le pont Saint Bénézet., pp.110-113.

[114] Viollet-le-Duc, E., Dictionnaire raisonné de l'architecture Française du XIe au XVIe siècle, Vol. 7,Paris,1875,p.221.

[115] Coulon, L., Les Rivieres De France, Vol.2, p.168.

[١١٦] عن جسر الروح القدس على نهر الرون. انظر: الملاحق (**الملحق الثالث**).

[117] Hélyot ,P., Dictionnaire des Ordres,T.3,pp.240-241.

[١١٨] سيمون سيمونيس: كان راهب ومؤلف فرنسيسكانيًا إيرلنديًا من القرن الرابع عشر الميلادي. قام في عام ١٣٢٣م هو ورفيقه الراهب هو"هيو إلومينيتور" Hugo Illuminator بالحج من كلونميل Clonmel في أيرلندا إلى بيت القدس، وقد دون تجاربه ومواجهاته خلال تلك الرحلة في كتاب. انظر:

Murphy,C.,"*An Early Irish Visitor to the Island of Crete:The Journey of Symon Semeonis from Ireland to the Holy Land*",In,C I,Vol.10,(2003),pp.54-63.

طوله نصف ميل، ويبلغ ارتفاع أقواسه وعرضها ما يحظى بإعجاب كل من يعبرها"[١١٩].

كما وصفه أيضًا الإيطالي " أنطونيو دي بيتيس"Antonio de Beatis [١٢٠] خلال رحلته التي طاف بها أنحاء الغرب الأوروبي بالكلمات التالية: "**يحتوي هذا الجسر على عشرين قوسًا طويلًا وعريضًا، وقد جرى بناؤه جيدًا وبشكل هندسي بديع، ولا يزال مرصوفًا بشكل أفضـــل**"[١٢١].

نستدل من أقوال كل من:" سيمونيس"، و" بيتيس"على حقيقة مفادها، أن تنظيم إخوان الجسور كان يضم بين أعضائه مهندسين مهرة، برعوا في بناء الجسور بشكل هندسي بديع ومُتقن، ولما لا ؟، فقد كان الفرع الثالث من تنظيم إخوان الجسور يتألف من الحرفيين (البناءون)، الذين قاموا بأعمال البناء الفعلية للجسور [١٢٢]، التي بلغت من جمالها ودقة صنعها، حتي أنها باتت مثارًا لإعجاب كل من رآها.

والجدير بالذكر هنا أن العُمال المشاركين في بناء جسر الروح القدس، قد شكلوا فيما بينهم إخوة، وأطلقوا على أنفسهم اسم" إخوة الروح القدس" Brotherhood of the Holy Spirit، اقتداءً بتنظيم إخوة بناة الجسر في أفينيون، وقد عَدّ المؤرخ "كورميته" Cormette هذا التنظيم من بين التنظيمات الدينية، التي كانت منتشرة في أوروبا آنذاك، وذكر عنه ما يلي: "**تنظيم خاص بالأعمال الخيرية يهدف إلى مساعدة الفقراء والمرضى، وتزويدهم بالرعاية المجانية**"[١٢٣].

٣- بناء جسر "لا غيوتييه"La Guillotière :

(119) Semeonis,S., The Journey of Symon Semeonis from Ireland to the Holy Land,in, https://celt.ucc.ie/published/T300002-001/index.html.

(١٢٠) أنطونيو دي بيتيس:كان سكرتير للكاردينال لويجي من أراجون Luigi of Aragon،قام برحلة إلى غرب أوروبا سجلها فيها مشاهداته اليومية، والتي استغرقت الفترة من ٩ مايو عام ١٥١٧م، وحتى ١٦ مارس عام ١٥١٨م،حيث زار فيها كلًا من: ألمانيا Germany، وسويسرا Switzerland، والبلدان المنخفضة Low Countries، وفرنسا، وإيطاليا . انظر:

Chambers, D. S.," *Isabella d'Este and the Travel Diary of Antonio de Beatis*",In, J W C I., Vol. 64 (2001), p. 296.

(121) Beatis, Antonio de.,The travel journal of Antonio de Beatis.Germany,Switzerland,the Low Countries,France and Italy,1517-1518.Translated from the Italian by:J.R.Hale and J. M. A. Lindon. Edited by: J.R. Hale, London, 1979, p.146.

(122) Herbermann, C.G., The Catholic Encyclopedia,Vol.2,p.781.

(123) Cormette, H.De., Histoire et statistique des Ordres de Chevalerie de l'Europe,Paris, 1853,p. 38.

وهو أيضًا من الجسور التي قام أعضاء تنظيم إخوان الجسور بإنشائها على نهر الرون، ويقع في مدينة ليون، وقد اكتمل بناؤه في عام ١١٨٣م [١٢٤]، وتم تمويله عن طريق أموال التبرعات والتركات التى منحتها الكنيسة لأعضاء التنظيم، وقد شكل العمال المشاركون في البناء هناك رابطة عُرفت باسم "إخوان ليون "على غرار إخوان الجسور في أفينيون، وكان هذا الجسر منذ إنشائه مصنوعًا من الخشب بالكامل؛ لذا لم يكتب له الصمود طويلًا [١٢٥]، إذ سرعان ما انهار جزء منه في عام ١١٩٠م عقب عبور الجيوش الصليبية الخاصة لكل من فيليب الثاني أوغسطس ملك فرنسا، وريتشارد قلب الأسد، ملك إنجلترا عليه خلال الحملة الصليبية الثالثة، وقد أكد على هذا الأمر قول المؤرخ المجهول: "**انهار جزء منه(أي الجسر) بسبب ثقل عابريه**"[١٢٦].وبناءً على ذلك، قرر العاهل الإنجليزي السماح لأعضاء تنظيم إخوان الجسور بالذهاب إلى مملكته (إنجلترا) بُغية جمع التبرعات والصدقات من هناك من أجل إصلاح هذا الجسر في فرنسا [١٢٧].

وبالفعل فقد بدأ في إعادة بنائه منذ عام ١٢٤٤م، ولكن تلك المرة من الحجر [١٢٨]، وقد أكد على بناء هذا الجسر البابا أنوسنت الرابع Innocent IV (١٢٤٣-١٢٥٤م)، فى المرسوم البابوي الذي أصدره لهذا الغرض في عام ١٢٤٥م بمدينة ليون عقب حضوره المجمع الديني (مجمع ليون الأول) [١٢٩]، الذي عُقد في تلك المدينة الأخيـرة [١٣٠]. وقد

---

[١٢٤] عن جسر "لا غيوتييه" La Guillotière على نهر الرون في مدينة ليون. انظر الملاحق (**الملحق الرابع**)

[125] Guigue,Marie-Claude.,"*Origine du pont de la Guillotière à Lyon*",In,B H L.,Vol.1, (1886/88),pp.128-131.

[١٢٦] مجهول، الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد)، الجزء الأول، ترجمة وتعليق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٩م، ص١٩٧.

[127] Maynard,L.S.,Histoires,légendes et anecdotes à propos des rues de Lyon:Avec indication de ce qu'on peut y remarquer en les parcourant Broché,Éditions des Traboules , 2003, p.167.

[128] Saint-Venant,A.B.De.,Saint Benezet,p.29.

[١٢٩] مجمع ليون الأول: هو المجمع المسكوني الثالث عشر، عقد في مدينة ليون الفرنسية عام١٢٤٥م برئاسة البابا أنوسنت الرابع، وقد وصل هذا البابا – بعدما فرض الإمبراطور فريدريك الثاني Frederick II إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة (ألمانيا) (١٢٢٠-١٢٥٠م) حصارًا على روما- إلى ليون في الثاني من شهر ديسمبر عام ١٢٤٤م، وفي أوائل العام التالي(عام١٢٤٦م) استدعى البابا أساقفة الكنيسة لحضور ذلك المجلس في وقت لاحق من العام نفسه. وقد حضره ما يقرب من مائتين وخمسين من الأساقفة انظر:

Addington,L.H.,The Patterns of War Through the Eighteenth Century,Indiana University Press,1994,pp.59-60.; Bellitto, Ch. M.,The General Councils:A History of the Twenty-One Church Councils from Nicaea to Vatican II, Paulist Press, 2002,p.57.

[130]Analecta juris Pontificii,XIIe Serie,Paris,1873,No.1135.;Paulus,N.,Indulgences as a Social Factor,p.84.

أعيد بناؤه تارة بالحجر، وتارة أخرى بالخشب، وتعرض لأضرار جسيمة طوال القرن الثالث عشر للميلاد، ولم يكتمل بناؤه فعليًا حتى بداية القرن الرابع عشر الميلادي [١٣١].

٤-بناء جسر بونباسPont de Bonpas :

بُني هذا الجسر فوق نهر دورانس Durance، في مدينة أفينيون بجنوب فرنسا، وكان يربط جنوب فوكلوز Vaucluse بشمال "بوش دو رون" Bouches-du-Rhône ، وقد تم بناؤه للمرة الأولى ما بين عامي(١١٨٩-١١٩٩م) من الأحجار، ومن ثم فقد استغرق في بنائه عشر سنوات، لكنه لم يستمر طويلًا، إذ سرعان ما تم تدميره بفعل الفيضان الذي حدث في عام ١٢٧٢م. وفي عام ١٣١٦م، تمت الموافقة على بناء جسر جديد باستخدام حجارة من الجسر القديم، لكن هذا الإجراء لم يكتمل، وسرعان ما انهار الجسر أيضًا في عام ١٣٢٠م، وقد نشأت حول هذا الجسر رابطة دينية عُرفت باسم إخوان "موباس"Maupas(أو بونباسBonpas)، كان من بين مهامها بناء الجسور، وإصلاح الطرق، وصيانتها، فضلًا عن مجموعة متنوعة من المهام الخيرية الأخرى [١٣٢] .

ثالثًا-مصادر تمويله:

نأتي الآن إلى مصادر تمويل تنظيم إخوان الجسور، وهذا الأمر يقودنا إلى سؤال مهم وحيوي، وهو كيف حصل أعضاء التنظيم على الموارد المالية اللازمة للقيام بمهامهم سالفة الذكر؟ مما لا ريب فيه، أن الحصول على أموال تمويل إنشاء الجسور، لم يكن بالأمر الهين على أعضاء التنظيم؛ نظرًا للتكلفة الكبيرة التي يتطلبها القيام ببناء مثل تلك الجسور وصيانتها بطبيعة الحال، وهو ما تسبب في حدوث مشكلة كبرى أمامهم [١٣٣]، غير أنهم تمكنوا في نهاية المطاف من التغلب عليها، ونجحوا من الحصول على العديد من مصادر التمويل التي تنوعت، وانقسمت إلى صنفين وهما:

أ- التمويل المالي (التمويل الخيري):

(131) André Pelletier,A.,and Others., Histoire de Lyon:des origines à nos jours,Lyon, Éditions lyonnaises d'art et d'histoire, Editions Lyonnaises d'Art et d'Histoire; Illustrated édition,2007, p.192.

(132) Michel,F.;Fournier,E.,Histoire des hotelleries,cabarets,hotels garnis, restaurants et cafés et des anciennes communautés et confréries d'hoteliers, de marchands de vins,de restaurateurs,de limonadiers,etc.,etc. Librairie de Seré,T.1,Paris,1851,p.321.;Pansier,P., "*Histoire de l'ordre*",dans,A A C V,T. 7, p. 8.

(133) François, marquis de Ripert-Monclar., Bullaire des indulgences,no.2,p.xvii.

ويُعرف أيضًا "بالتمويل الخيري" القائم على العطاءات والمساعدات الخيرية من أموال النذور والتبرعات، ولعل خير شاهد على هذا التمويل الخيري ما حدث في عام ١١٨٠م، عندما تم بناء جسرين في وادي هيرس الكبير Le grand Hers–أهم فروع نهر أريج Ariège – من أموال التبرعات التي كانت مخصصـــة أساسًا للفقراء [١٣٤].

وينقسم التمويل المالي بدوره هو الآخر إلى شطرين، وهما:

١- أموال النذور والصدقات والعطايا:

وهي الأموال التي قام القديس "بينيزيه" بجمعها –هو وأتباعه من بعده– من المقاطعات الفرنسية المختلفة، حيث تغلب الأخير على العقبات المالية التي واجهته بصعوبة بالغة، وقام بالتجول بشخصه في المقاطعات؛ بُغية جمع التبرعات، والعطايا، والصدقات لإتمام البناء، ويدلل على هذا الأمر قول المـــؤرخ "روبـــرت الأوكسـيـرى" Robert d'Auxerre(١١٥٦-١٢١٢م)[١٣٥]، حيث ذكر قائلًا: "**ولكي يُكمِل هذا الشـــاب المقدس بناء الجسر؛ فقد ارتحل إلى العديـــد من المقاطعـــات لجمع الأموال من صدقات المؤمنين**"[١٣٦].

ولا ريب في أن القديس بينيزيه لكي يقوم بأداء تلك المهمة على الوجه التام (جمع تلك الأموال)، فقد تطلب منه هذا الأمر بذل مجهود كبير للعمل على إقناع الأهالي بمشروعه الخيري؛ حتى يقوموا بمساعدته، ومد يد العون له، وهو ما حدث بالفعل حيث قاموا بمساعدته عن طريق قيامهم بالتبرع من أموالهم الخاصة، حتى أن عدد تبرعاتهم قد وصل– على حد تعبير أحد المؤرخين– "**إلى ما يقرب من خمسة آلاف فلورين**"[١٣٧]، وهو مبلغ كبير بلا أدنى شك في ذلك العصر، مما يدل على مدي ضخامة الأموال، التي يتطلبها إنشاء الجسور.

---

(134) Le Blévec, D., "*Une institution d'assistance*", dans, C F., T.13, p.95.;Brodman, J.W., Charity and religion,p.122.

(١٣٥) روبرت الأوكسيري (أو Robertus Antissiodorus): مؤرخ فرنسي، كان نزيلًا في دير سانت مارين St.Marien في أوكسير. وقد صنف تاريخًا زمنيًا (أو تاريخًا عالميًا) بناء على طلب من" ميلو دي ترينيل " Milo de Trainel (١١٥٥-١٢٠٢م) رئيس هذا الدير، وهو يغطي الفترة الزمنية ما بين بداية الخليقة، وحتى عام ١٢١١م. للمزيد راجع:

Neel,C.,"*Man's Restoration: Robert of Auxerre and the Writing of History in the Early Thirteenth Century*",In, Traditio,Vol.44 ,(1988), pp. 253-274.

(136) Robert de Saint-Marien d'Auxerre., Chronologia,In, M G H S., T. XXVI, p.241.

(137) Canron,A.,Histoire de Saint Bénézet,p.27.

من هنا يمكن القول، إن أهالي مدينة أفينيون قد أسهموا في عملية تمويل تنظيم إخوان الجسور من أموالهم الخاصة كنوع من المشاركة في العمل الخيري، حيث اعتبروا أن بناء الجسور مثل بناء الكنائس سواء بسواء.

كما ساهم الفرسان، الذين كانوا يشكلون الفرع الأول من فروع تنظيم إخوان الجسور، أيضًا بمعظم أموال التمويل، لذا كان يطلق عليهم لقب "المانحين" .هذا وقد حذا أعضاء تنظيم إخوان الجسور، حذو رئيسهم القديس بينيزيه في جمع الصدقات والتبرعات داخل المقاطعات الفرنسية، وذلك بعدما أخذوا الموافقة من "روستان الثالث دي مارجريت" أسقف أفينيون للقيام بذلك، حيث جابوا المقاطعات الفرنسية المختلفة؛ بُغية الحصول على الصدقات العامة، وجمع التبرعات من السكان(١٣٨)، ومن هذا المنطلق، قاموا بجولات عديدة داخل الكنائس في كل من: لانجدوك، وبروفانس، ودوقين Dauphine(١٣٩)، وسافوي Savoy(١٤٠).

وقد تمكن أعضاء تنظيم إخوان الجسور من تحصيل مبالغ مالية طائلة، استطاعوا من خلالها دفع تكاليف البناء، وقاموا كذلك" بشراء عدد من: المنازل، والحدائق، ومزارع الكروم في أفينيون، والمناطق المحيطة بها، والموجودة على حافتي الجسر – لا سيما في مقاطعة روجنوناس من أجل استكمال عمل الجسر (١٤١). وقد تبين هذا الأمر من خلال بعض الوثائق المحفوظة في أرشيف مستشفى جسر أفينيون، وأول هذه الوثائق يرجع إلى شهر إبريل عام١١٨١م، حيث تذكر شخصية القديس "بينيزيه" بوصفه المُشرف العام، والقائم بأعمال الجسر:" **نبيع المنزل ونَهِبُه لله، ولعمل الجسر (أفينيون) للأخ بيندكت (بينيزيه)، المشرف، ووكيل أعمال الجسر، ولبقية الإخوة في الوقت الحالي وفي المستقبل**"، حيث قاما كُلٌ من: "جالبورج" Galburge، وابنه"رايموند مالفيسيني" Raymond Malvicini ببيع منزل وحديقة للقديس بينيزيه، وقد تم إجراء وثيقة

(138) Ainay abbey .,Grand cartulaire,Vol.1, no. 73, p.144.

(١٣٩) دوفين: منطقة تقع في الجنوب الشرقي، تضم حاليًا ما يقرب من: أقسام دروم Drôme، وإيزيريIsére، سافوى العليا .Haute-Savoie راجع: Canby ,C.,Encyclopedia,p.318.

(١٤٠) سافوى: منطقة تاريخية تضم جنوب شرق فرنسا وشمال غرب إيطاليا. انظر: Canby,C.,Ibid.,p.1164.

(141) Boyer,M.N.,"*The Bridgebuilding*",In,Spec.,Vol.39,No.4,p.639.; Le Blévec,D.,"*Une institution*",dans, C F.,T.13,p.93.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٣م

البيـــع تلك "**في حضـــور أحد عشـــر شـــاهدًا، أمام كاتب العـــدل "إتيـــان"Étienne وقناصـــل مدينة أفينيون ؛ وكانت وثيقة البيع ممهورة بختم المديـــــنة**" (١٤٢).

٢- امتيازات الكونتات والبارونات الفرنسيين:

وقد حاز أعضاء تنظيم إخوان الجسور، على العديد من الامتيازات، التي منحها لهم بارونات وكونتات فرنسا من خلال وصاياهم التي تركوها، وهؤلاء الكونتات مثل: ويليام الرابع Guillaume IV كونت فوركالكييه Forcalquier(١١٣٠-١٢٠٨م) (١٤٣) بجنوب شرق فرنسا في عام ١٢٠٢م، ورايموند السادس Raymond VI كونت تولوز(١١٥٦-١٢٢٢م)(١٤٤) في العام التالي (عام١٢٠٣م). وتم منح الأخير أعضاء التنظيم أيضًا أنواع الامتيازات جميعًا داخل نطاق فرنسا، مع السماح لهم- في الوقت ذاته- بحريـة التحرك والعبـــور على نهـــر الـرون، كما قام هؤلاء الكونتات سالفي الذكر بوضع أعضاء التنظيـــم تحـــت حمايتهم ورعايتهم الخاصة. وقد أكد على تبرع كونت تولوز سابق الذكر، ابنـه رايموند السابع Raymond VII كونت تولوز(١٢٢٢-١٢٤٩م) فيما بعد، وذلك في سنة ١٢٣٧م (١٤٥).

وقد أحتذي حذو هؤلاء الكونتات أيضًا، "ويليام دي روان" Guillaume de Roanne، كاهن القديس يوحنا Canon of St. Jean، الذي قام بالتبرع لمشروع الجسر بعشرين فلورين، بينما ترك خمسة فلورينات للرهبان في المدينة (١٤٦). في حين تبرع "بيرارد

---

(142) Saint-Venant,A.B.De.,Saint Benezet,p.15.; Pansier,P.,"*Histoire de l'ordre*",dans,A A C V,T.7,p.34.

(١٤٣) ويليام الرابع: كونت فوركالكييه، ابن برتراند الأول Bertrand I كونت فوركالييه (١١٢٩-١١٤٤م)، شارك في حكم المقاطعة مع شقيقه برتراند الثاني Bertrand II، لكن الأخير توفي تاركًا إياه يحكم بمفرده. راجع:

Varano,M.," *Espace religieux et espace politique en pays provençal au Moyen Âge (IXeXIIIe siècles).L'exemple de Forcalquier et de sa région*".Archéologie et Préhistoire.Université de Provence- Aix-Marseille I,2011,p.460.

(١٤٤) رايموند السادس: كونت تولوز خلال الحملة العسكرية ضد الهرطقة الألبيجنسية التي انتشرت فى جنوب فرنسا خلال المدة من عام(١٢٠٩-١٢٢٩م) ، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئًا فى مواجهتهم، حيث أمتد نفوذهم امتدادًا واسعًا في أنحاء كونتيته جميعًا. راجع:

عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية فى الشرق والغرب، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ص٤٠٣-٤٠٤.

(145)Rastoul,A.S,Tableau d'Avignon,Avignon,Rastoul,1836,p.24. ;Hélyot,P., Dictionnaire ,T.3,p.240.

(146) Guigue,M.C.,Cartulaire lyonnais:documents inédits pour servir à l'histoire des anciennes provinces de Lyonnais, Forez,Beaujolais,Dombes,Bresse [et] Bugey comprises jadis dans le Pagus Major Lugdunensis,T.2,Lyon,1893,no.644,pp.222-228.

أكرا" Berard Acre، هــو الآخر بعشرة فلورينات لجسر الرون، وترك ثلاثمائة فلورين من أجل بنــاء الكاتدرائيــة [١٤٧]. وفي عام ١٢٢٥م ترك "ويليام دي كولنج Guillaume de Colonges لأعضاء التنظيم أيضًا عشرين إردبًا من القمح لكل من: إخوان ليون، وأيضًا للمرضى المصابين بالجُذام، وإخوان جسر الرون(إخوان أفينيون) [١٤٨]، في حين ترك "مارتن دي فيريسيل"Martin de Viricelle في العام نفسه(١٢٢٥م)، هو الآخر عشرة فلورينات لجسر الرون، وخمسة أخرى لمرضى الجُذام، وعشرة للرهبان [١٤٩]. وقد أقتفي أثرهم "ويليام شاربينيل" Guillaume Charpinel في عام١٢٣٨م. وفي عام١٢٣٩م قام "جاي الرابع" Guy IV كونت فورز Forez(١٢٠٣-١٢٢٦م) [١٥٠]، من جانبه هو الآخر بالتبرع لصالح لصالح تنظيم إخوان الجسور بمبلغ مائة فلورين من أجل المشروع [١٥١]. كما تبرع عضو آخر من أعضاء عائلة "فورز" الفرنسية النبيلة لتنظيم إخوان الجسور، وهو "ريــنو"Renaud رئيــس أساقفة ليــون بمبلــغ ألف فلورين [١٥٢]. وقد سار على النهج نفسه كذلك كُلٌ من: "دوران ثيموت"Duran Thimote(عام١٢٤٥م)، و"جاى دي لا تور"Guy de la Tour (عام١٢٥٠م) [١٥٣].

وفي عام ١٢٧٠م، أعطى ألفونس Alphonse كونت بواتييه Poitiers(١٢٢٥-١٢٧١م) [١٥٤] أعضاء تنظيم إخوان الجسور، الحق فى عبور الجسر فوق نهر دورانس

---

(147) Guigue,M.C.,Cartulaire Lyonnais,T.1,Lyon, 1885,I, no.421, 519-520.

(148) Ibid.,T.1,no. 218,p. 286.

(149) Ibid., T.1,no. 223, p.293.

(١٥٠) فورز: منطقة فرنسية، يقع معظمها في مقاطعة اللوار Loire، حول مدينة فيورسFeurs ، إلى غرب ليون بوسط فرنسا. انظر: Canby, C.,Encyclopedia,p. p. 417.

(151) La Mure,J.de., Histoire des ducs Bourbon et des comtes de Forez en forme d'annales sur preuves authentiques servant d'augmentation à l'histoire du pays de Forez et d'illustration à celles des pays de Lyonnois, Beaujolois, Bourbonnais, Dauphine et Auvergne, et aux généalogies tant de la maison royale que des plus illustres maisons du royaume: Publiée pour la première fois d'après un ms. de la bibliothèque de Montbrison portant la date de 1675. Revue, corrigée et augmentée..., Publiée par R.Chantelauze T.3,Paris,1860,p.52.

(152) Guigue,M.C.(Ed.).,Obituarium Lugdunensis ecclesiae : nécrologe des personnages illustres et des bienfaiteurs de l'église métropolitaine de Lyon du IXe au XVe siècle, Lyon,1867,p.132.

(153) Guigue,M.C.,Cartulaire Lyonnais,T.1,nos. 326; 400;and 440.

(١٥٤) ألفونس كونت بواتييه: وُلِد في بويسي Poissy، في ١١ نوفمبر ١٢٢٠م، وكان ابن للملك لويس الثامن ملك فرنسا وبلانش ملكة قشتالة Blanche of Castile (١١٨٨-١٢٥٢م) ، والأخ الأصغر للملك لويس التاسع ملك فرنسا ، والأخ الأكبر للكونت تشارلز الأول ملك أنجو Charles I of Anjou. كان كونت لبواتييه منذ عام ١٢٢٥م، وكونت تولوز، ومن هنا صار يُلقب بألفونس الثاني Alphonse II منذ عام ١٢٤٩م، وبصفته كونت تولوز، كان يحكم أيضًا ماركيزية بروفانس، وتوفى في ٢١ أغسطس عام١٢٧١م. راجع:

Durance، كما أكد على إقطاعاتهم وحقوقهم، وصلاحياتهم القضائية في كونتيتي فينايسين Venaissin [١٥٥]، وتولوز [١٥٦].

يتضح مما سبق، أن النبلاء في فرنسا، لم يعارضوا أعضاء تنظيم إخوان الجسور في القيام بمهامهم المختلفة فى بادئ الأمر، كما لم يدخروا وسعهم في تقديم يد العون والمساعدة لهم، ومدهم بالامتيازات المختلفة من خلال الوصايا التي تركوها، ومدهم بما يحتاجون له سواء بالأموال؛ أم بالحبوب الغذائية (كالقمح)، التي أسهمت-بشكل أو بآخر- في جعل أعضاء التنظيم ينهضون للقيام بمهامهم الخيرية على وجه تام. وإن دل هذا الأمر على شيء، فإنما يدل على مدى النجاح الذي حققه أعضاء التنظيم في القيام بالأعمال الخيرية داخل المجتمع الفرنسي من ناحية، وكسب ثقة نبلاء فرنسا من ناحية أخري.

والأمر اللافت للنظر هنا، أن ملوك فرنسا لم يسهموا، بشكل أو بآخر في عملية تمويل تنظيم إخوان الجسور ماديًا، حيث صمتت المصادر المختلفة في الحديث عن ذلك الأمر؛ ولعل السبب في ذلك يكمُن؛ إما لانشغالهم بالمشاركة، بل والإعداد فى الوقت نفسه للحروب الصليبية ضد الشرق الإسلامي- مثل فيليب الثاني أوغسطس الذي شارك في الحملة الصليبية الثالثة، ولويس التاسع الذي شارك في الحملة الصليبية السابعة- مع ما يتطلبه هذا الأمر بطبيعة الحال من جمع المزيد من الأموال لتمويل تلك الحملات العسكريـــة من ناحية؛ وإما بسبب انشغالهم بحروبهم الخارجية ضد جيـــرانهم من ناحيـــة أخـــرى، في الوقت الذي انصرف فيه بعضهم نحو جمع الأموال لحسابه الخاص، مثـل الملك فيليـب الرابـــع.

ففي غضون ذلك، كان فيليب الرابع ملك فرنسا، قد وقع فى ضائقة مالية شديدة؛ بسبب حروبه الخارجية لا سيما في الفلاندرز، فضلًا عن أنه كان مدين إلى هيئة فرسان الداوية بمبالغ طائلة، حيث قاموا بتمويله بمبالغ مالية كبيرة لخوض غمار حروبه، لكنهم توقفوا عن التمويل عندما أدركوا عدم مقدرته على السداد، ومن ثم تفنن هذا العاهل في الاستيلاء على أموالهم بكافة الطرق المشروعة وما دون ذلك [١٥٧].

Hallam, Elizabeth M., Capetian France, 987-1328, Longman, London ,1980, p.218.

[١٥٥] فينايسين: منطقة جنوب شرق فرنسا، في دائرة فوكلوز حول أفينيون، شرق نهر الرون. انظر:
Canby,C.,Encyclopedia,p.278.

[156] Grégoire,H.,Recherces Historiques,p.25.

[١٥٧] العنزي، لطيفة بنت خلف، "نهاية منظمة الداوية Templars في أوربا ٧١٣هـ/ ١٣١٢م،"مجلة كلية الآداب –جامعة سوهاج، ع ٣٨، (٢٠١٥م) ،ص ص١٩٩-٢٠٠. ؛ الوكيل، جمال فاروق،" *سياسة الملك الفرنسي فيليب الرابع*"، وقائع تاريخية،ع٢٨، ص٧٩.

وبما أن هذا العاهل الفرنسي، كان متعطشًا لجمع الأموال بأي شكل من الأشكال، حتى أنه لم يتورع عن حل تنظيم ديني كالداوية- كان له دورٌ بارز في تاريخ الحروب الصليبية على بلاد الشام- من أجل مصادرة ممتلكاتهم، واستبقائها لنفسه؛ لذا نخرج من هنا بنتيجة مفادها، أن مثل هذا العاهل (فيليب الرابع) وبشخصية كشخصيته تلك، لم يقُم البتة بتمويل تنظيم إخوان الجسور، وبأي حال من الأحوال.

ب-التمويل الروحي:

وهو الصنف الآخر من مصادر تمويل تنظيم إخوان الجسور، ويتمثل في صكوك الغفران، التي كان البابوات ورجال الدين يمنحونها للأشخاص؛ تشجيعًا لهم من أجل المشاركة في بناء الجسور.

ويتبادر إلى الذهن هنا سؤال، وهو ما السبب الذي دعا البابوات ورجال الدين لإصدار مثل تلك الصكوك، حتى تصير أحد المصادر المهمة فى عملية تمويل تنظيم إخوان الجسور في العصور الوسطى، علمًا بأن هذا الأمر يبدو في ظاهره شيئًا دنيويًا وليس دينيًا؟ في واقع الأمر إن بعض الأعمال التي يمكن اعتبارها اليوم دنيوية بحتة، لم تكن كذلك في العصور الوسطى التي كان يطلق عليها اسم "عصور الإيمان"، فلم يكن هناك حينذاك فصل بين السلطتين الزمنية والدينية بشكل كبير، فقد كان أي عمل دنيوي يتم ربطه عادةً بالأمور الدينية. علاوة على ذلك، ونظرًا لأن الأمراء وحكام المدن كانوا في أوقات كثيرة يمرون بأزمات مالية؛ نظرًا لسوء إدارتهم لإيراداتهم الخاصة، فمن ثم كانوا يقومون بدعوة الكنيسة لمساعدتهم في تمويل مشروعاتهم الخيرية المتنوعة كبناء الجسور، وإقامة المستشفيات إلخ..، ومن هنا قام رجال الدين بمنح العديد من صكوك الغفران لأغراض دنيوية كانت مفيدة اجتماعيًا على نحو بناء الجســـور [١٥٨].

وليس بالمستغرب، أن يلقي أي عمل من أعمال البر والخير، ومساعدة المحتاجين والفقراء والضعفاء، وتأمين سلامة الحجاج، الدعم -بل والرضى التام عنه- من قِبَل البابوية، فقد كان إنشاء الطرق وصيانتها أمرًا على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لهؤلاء البابوات ورجال الدين خلال العصور الوسطى، حتى أن البابوية نفسها، قد أعلنت من

(158) Paulus,N.,Indulgences as a Social Factor,p.68.;Le Blévec,D.,"*Indulgences et quêtes*, pp.271-282.

جانبها، أن رعاية الطرق وصيانة الجسور يُعدَّان من بين أعمال البر والتقـوى التي يُثاب فاعلـــها بحُسن الجزاء، وغفـــران الذنوب تمامًا كالإحسـان والحج [١٥٩].

ولعل ما سبق يكشف لنا النقاب عن الدافع وراء قيام البابوية بالاعتراف بإخوان الجسور في فرنسا كتنظيم ديني رسمي معترف به على يد البابا كلمنت الثالث، وذلك في المرسوم البابوي الذي أصدره في عام ١١٨٩م لهذا الغرض [١٦٠].

على أية حال، يأتي على رأس هؤلاء الباباوات الذين منحوا صكوك الغفران من أجل الإسهام في بناء الجسـور في فرنسـا، البابا أنوسـنت الرابـــع Innocent IV (١٢٤٣-١٢٥٤م)، وذلك عقب ترأسه لمجمع ليون الأول في عام ١٢٤٥م، حيث تقرب منه أعضاء تنظيم إخوان الجسور؛ حتى يدعم مشروعهم. وبالفعل استجاب الحبر الأعظم بترحاب كبير لطلبهم من خلال قيامه بتشجيع الأساقفة المجتمعين في المجلس على جمع الأموال لاستكمال بناء الجسر من داخل أبرشياتهم في أنحاء أوروبا المختلفة، وحثهم كذلك على اقتفاء أثر القديس "بينيزيه" وعمله في أفينيون. ولم يكتفِ البابا بمنح أعضاء تنظيم إخوان الجسور غفرانًا مدته سنة وأربعيـــن يـــومًا فحسب [١٦١]، ولكنـــه قام أيضًا بوضعهم تحـــت الحمايـــة الرســـوليـــة في عام ١٢٤٧م [١٦٢]. وفي الثالث من سبتمبر عام ١٢٥٤م، كتب (البابا) إلى أساقفة العالم المسيحي لكي يحثهم من جديد على الترحيب بممثلي أعضاء

---

[١٥٩] فرح، نعيم، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطي، ط٢، دمشق ١٩٩٩-٢٠٠٠م، ص١٣٧.

[١٦٠] يذكر المؤرخ "سانت فينانت" أن البابا كلمنت الثالث قد اعترف بتنظيم إخوان بناة الجسور في عام١١٩١م، وليس في عام١١٨٩م. راجع: Saint-Venant ,A.B.De., Saint Benezet,pp.16-17.

[161] Monfalcon,J.B.,Lugdunensis historiae monumenta,sive Diplomata,chartae,leges, epistolae,testamenta aliaque instrumenta ad res lugdunenses spectantia.Lugdunensis historiae monumenta, inde a colonia condita usque ad saeculum quartum decimum, edidit et annotavit Joannes-Baptista Monfalcon ,Lugduni, 1860, p. XXV.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن الكاثوليك يؤمنون بأنه يحق للبابوات والأساقفة معًا أن يمنحوا صكوك الغفران لمدد معينة بغرض خاص، وكان منح هذه الصكوك بناءً على قرارات سابقة من بعض البابوات، لكن بعض عقلاء الكاثوليك ينكرونها حاليًا على اعتبار أنها فساد في التاريخ انتهى زمنه. للمزيد راجع: التركي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن، "*صكوك الغفران لدي النصارى دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية*"، مجلة العلوم الشرعية، العدد ٢٨، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عمادة البحث العلمي، المملكة العربية السعودية، (٢٠١٣م)، ص٢٦.

[162] Les Registres d'Innocent IV (1243-1254), Recueil des bulles de ce pape,T.III,Thorin et Fontemoing,1890-1897,n.2607.;Martin,J.B.,Conciles et bullaire du diocèse de Lyon: des origines à la réunion du Lyonnais à la France en 1312,Lyon:E.Vitte,1905, p.1157.

تنظيم إخوان الجسور، الذين سيقومون بجمع الموارد المالية من أجل مشروعهم داخل بلادهم [١٦٣].

ومن ضمن البابوات الآخرين الذين منحوا صكوك غفران كذلك[١٦٤]: البابا ألكسندر الرابع Alexander IV(١٢٥٤-١٢٦١م)، الذي منح صكوك غفران لمدة سنة واحدة وأربعين يومًا[١٦٥]، وكذلك البابا أوربان الرابع Urban IV(١٢٦١-١٢٦٤م)، وكلمنت الرابع Clement IV(١٢٦٥-١٢٦٨م)، حيث منح الأخير صكوك غفران لمدة أربعين يومًا[١٦٦]، إلى جانب ذلك، هناك البابا مارتن الرابعMartin IV(١٢٨١-١٢٨٥م)، الذي منح الغفران لمدة سنة وأربعين يومًا في ٢٨ مارس عام ١٢٨١م [١٦٧]، والبابا نيقولا الرابع Nicholas IV(١٢٨٨-١٢٩٢م)، وقد منح الغفران في يومي (١٨ مارس، و٢٨ يوليو عام ١٢٩٠م) لمدة عام واحد وأربعين يومًا، هذا من جهة [١٦٨].

ومن جهة أخرى، قام بمنح الغفران لمائتي يوم كذلك، كل من رؤساء أساقفة: إيكس Aix[١٦٩]، وآرل Arles[١٧٠]، وإمبرونEmbrun [١٧١]، ونابونيNarbonne [١٧٢]

---

(163) Potthast,A.,Regesta pontificum romanorum inde a 1198 ad 1304,T.1,Berolini,1874, n.3799.

(١٦٤) نظرًا لكثرة عدد هؤلاء البابوات هنا، فسوف نكتفى فقط بذكرهم، وسنة توليهم كرسي البابوية (الباحث).

(165) Gray, Walter de.,The Register, Or Rolls , Of Walter Gray, Lord Archbishop Of York: With Appendices Of Illustrative,Durham,1872,p.24.;Saint-Venant,A.B.De.,Saint Benezet ,p.54.;Granget,E.A.,Histoire de diocèse d'Avignon et des anciens diocèses dont il est formé,T.1.,Avignon,1862,p.352.

(166) Martène, E., Thesaurus novus anecdotorum.Tomus secundus,in quo continentur Urbani papae IV.epistolae LXIV. Clementis papae IV.epistolae DCCXI.Joannis XXII. Processus varii in Ludovicum Bavarum & ejus Asseclas. INNOCENTII VI. Registrum Epistolarum anno M.CCC LXI.Aliaque plura de Schismate Pontificum Avenionensium MONUMENTA, Vol.2, Parisiis, 1717, p.461.

(167) François, marquis de Ripert-Monclar, Bullaire des indulgences, p.xx. ; Paulus, N., Indulgences as a Social, pp.82-83.

(168) Langloism, M.E., Les registres de Nicolas IV: Recueil des bulles de ce pape, publiées ou, analysées d'après les manuscrits originaux des archives du Vatican,Paris,1886,p.494.;Pansier,P.,"*Note sur une bulle de Calixte III accordant des indulgences à L'oeuvre du Pont d'Avignon", In* ,A A C V.,T.I,No.3,(1912),pp.169-176.
وعن نص مرسوم صك الغفران الذي أصدره البابا نيقولا الرابع. راجع:
Cf: François, marquis de Ripert -Monclar, Bullaire des indulgences, p.4.
يذكر المؤرخ "جوزيف هياسينث ألبانز"Joseph-Hyacinthe Albanès، أن البابا نيقولا الرابع قد منح صكوك الغفران لمدة سنتين وثمانين يومًا، وهذا ليس صحيحًا. راجع:
Albanès, Abbé J. H., Le Vie de Saint Bénézet,p.24.

(١٦٩) إيكس: بلدة في مقاطعة بوش دو رونBouches-du-Rhône ٢٩ كم٢ شمال شرق مرسيليا.Marseill راجع:
Moore,W.G.,The Penguin,p.20.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٣م

وأتباعهم، فضلًا عن مقدمو أديرة كل من: كلونيCluny[١٧٣]، وسيتو Cîteaux، وبريمونترى Prémontré[١٧٤]، وسانت أندريه Saint-André، وسانت فيكتور Saint-Victor، وجراسGrasse[١٧٥]، وسانت جيل Saint Gilles، ومونتماجور Montmajour في بروفانس، وشارتروس Chartreuse [١٧٦]، إلى جانب رهبان الداوية في بيت المقدس، ورهبان الفرنسيسكان، والدومينيكان [١٧٧].

ربعًا-نهاية تنظيم إخوان الجسور في عام١٣٠٨م وأسباب ذلك:

خُلاصة القول، لم يستمر طويلًا عصر ازدهار تنظيم إخوان الجسور في جنوب فرنسا، إذ سرعان ما انهار، وتم حله في عام١٣٠٨م، وتوقف عن أداء مهامه، قبل حل تنظيم الداوية فى فرنسا بأربعة أعوام (عام ١٣١٢م) على يد الملك فيليب الرابع الجميل، ولعل أبرز الأسباب التي أدت إلى ذلك يمكن إجماله فيما يلي:

أ-انتقال بعض أعضاء تنظيم إخوان الجسور إلى تنظيم الداوية:

ولا سيما بعد أن أتجه الأعضاء إلى الاسترخاء ، فمالوا إلى الدعة والخمول، وتقاعسوا عن أداء مهامهم، خاصة بعدما تكدست الثروات والأموال في أيديهم، ويرى المؤرخ "بيير هيليوت" Pierre Hélyot، أن أول من وقعوا ضحية هذا الإهمال هم "إخوان بونباس"، الذين قرروا في عام ١٢٧٧م الانضمام إلى فرسان القديس يوحنا(الداوية) في بيت المقدس،

---

[١٧٠] آرل: مدينة السوق في مقاطعة بوش دو رون تقع على الضفة اليسرى لنهر الرون ٧٥ كم٢ شمال غرب مرسيليا. راجع: Moore,W.G.,Ibid. p.50.

[١٧١] إمبرون (Eburodunum باللاتينية): وهي بلدة في مقاطعة الألب الأعلى Hautes-Alpes، على بعد مائة ميل شمال شرق مرسيليا على نهر دورانسDurance River.انظر:
Canby, C., Encyclopedia of Historic Places. 380.

[١٧٢] ناربونى: بلدة في مقاطعة أود Aude على بعد ٨ كم٢ من خليج الأسود Gulf of Lions، و ٣٩ كم٢ شمال بربينيانPerpignan .انظر: Moore, W.G., Ibid. p.540.

[١٧٣] كلونى: بلدة في مقاطعة السون واللوار Saône-et-Loire، على بعد ١٩ كم٢ شمال غرب ماكون Mâcon، نشأ بها دير البينديكتيين الشهير (تأسس عام ٩١٠ م) .راجع: Moore,W.G., Ibid,p. 187.

[١٧٤] بريمونتري: دير يقع في البرية بالقرب من لاون Laon، أسسه" نوربرت من أكسانتين" Norbert of Xanten عام ١١٢٠م.انظر:
William,W.Kibler and Others (Eds).,Medieval France,p.1427.

[١٧٥] جراس: بلدة ومنتجع في قسم Alpes-Maritimes المطل على البحر الأبيض المتوسط على بعد ٢ كم٢ شمال غرب مدينة كانCannes .انظر: Moore, W.G.,Ibid.p.317.

[١٧٦] شارتروس: دير في مقاطعة إيزيرIsère ، على بعد عشرين كم٢ من غرونوبل ، جنوب شرق فرنسا ، في جبال الألب. أسسها القديس "برونو الكولوني" Bruno of Cologne عام ١٠٨٤ م. راجع:
Canby, C.,Encyclopedia of Historic Places,p245..

[177] Gray,Walter de.,The Register,p.8.;Albanès,Abbé J.H.,Le Vie de Saint Bénézet,p.25.; Paulus,N.,Indulgences as a Social ,pp.81-82.

وأعطوا توكيلًا رسميًا لأحد أعضائهم من أجل الذهاب إلى روما لمتابعة عملية الانضمام إلى تنظيم الداوية، لكن "جيرارد"Girard أسقف كافيلون Cavillon –شمال غرب أميـــان Amiens –، على الرغـــم من رضـــاه عن هذا الأمر، إلا أنه اشترط موافقة البابا نيقولا الثالثNicholas III (١٢٧٧-١٢٨٠م)عليه أولًا. وبالفعل وافق الأخير على ذلك في عام ١٢٧٨م، وقام بضم مستشفى "بونباس" إلى هيئة الداوية في بيت المقدس "**حتى تستمر الضيافة وأعمال الخير دائمًا هناك**". وبعدما نما إلى علم إخوان الجسور في أفينيون ما قام به أسقف كافيلون، سلموا منزلهم هم الآخرون إلى فرسان الداوية في بيت المقدس [١٧٨].

ب-نشوب صراع بين أعضاء التنظيم وسكان مدينة أفينيون:

فحوالي عام ١٢٣٣م، وبعد الصراع الذي دار أواره بين أعضاء تنظيم إخوان الجسور، وبين سكان مدينة أفينيون؛ بسبب تكدس الثروات في أيدي أعضاء تنظيم إخوان الجسور كما سبق القول، عَهِدَ قناصل المدينة بإدارة بناء الجسور إلى رؤساء علمانيين (مدنيين) على غرار كل من: الفارس "رايموند دي ريس" Raymond de Reïs، و"دوراند إيجيريك" Durand Aigueric، ومن هنا تبنى القناصل قضية سكان أفينيون، وأجبروا أعضاء التنظيم على الاعتراف بهم رغمًا عنهم كرؤساء لهم ، وقد كان هذا الأمر فى الواقع بمثابة الطامة الكبرى، وإشارة إلى التردي الذي أصاب هذا التنظيم [١٧٩].

ج-قيام الأسقف" زوين تينكاراري" Zoen Tencarari (١٢٤٠-١٢٦٠م) بتعيين أحد الأشخاص العلمانيين رئيسًا للتنظيم بداية من عام ١٢٦٠م:

ففي تلك الأثناء، حاول "زوين تينكاراري" رئيس أساقفة أفينيون من جانبه، أن يُعيد أعضاء تنظيم إخوان الجسور إلى سابق نشاطهم وحماستهم التي كانوا عليها، لكنه حرمهم في الوقت ذاته من حقهم في اختيار رئيس لهم من بين صفوفهم، وفرض عليهم (في عام١٢٦٠م) رئيسًا جديدًا من خارج التنظيم، وهو شخص يدعى "رايموند هيونيس" Raymond Hugonis (١٢٦٠-١٢٧١م). ولقد حذا حذوه (رئيس الأساقفة زوين) في هذا الشأن من جاء بعده من أسلافه [١٨٠]. ومنذ ذلك الحين صار رؤساء أساقفة

(178) Hélyot, P., Dictionnaire des Ordres,T.3,p.241.

(179) Roure, L.B., Les Constructeurs de ponts au moyen âge. Récits légendaires ou historiques, suivis de la description des ponts remarquables bâtis aux XIIe et XIIIe siècles, Paris,1876,p.32.

(١٨٠) عن رؤساء أساقفة أفينيون. راجع: الملاحق (**جدول رقم ٤**).

أفينيون هم من يقومون بتعيين رؤساء تنظيم إخوان الجسور بشكل دائم، بصرف النظر عن قبول أعضاء التنظيم له، وهو ما أثار موجة عارمة من الاستياء والغضب الشديد بين أعضائه جميعًا لكن دون جدوى (١٨١).

وقد ظل الرؤساء الجدد لتنظيم إخوان الجسور –في غالب أمرهم– مجرد رؤساء بالاسم فقط، ولم ينهضوا للقيام بعملهم على الوجه التام؛ حيث لم يهتموا بإصلاح أوضاع التنظيم، وأهملوا مصالح الأعضاء المادية، ولم يوفروا –على حد تعبير المؤرخ "كانرون" Canron– "**لقمة عيش واحدة لأعضائه**"، مما اضطر الأخيرين إلى الشكوى والاحتجاج منهم (الرؤساء الجدد) إلى أسقف أفينيون نفسه لكن دون جدوى (١٨٢).

وفي ١٦ مارس عام ١٣٠٤م، قَدّمَ أحد أعضاء تنظيم إخوان الجسور ويدعى "بيير ريمبرت"Pierre Rimbert التماسًا، نيابةً عن بقية أفراد التنظيم، إلى "برتراند دامياني" Bertrand d'Aïmini رئيس أساقفة أفينيون(١٣٠٠-١٣٠٤م) توسل له فيه أن يتولى القيام برئاسة تنظيم إخوان الجسور، والبقاء معهم، وتوفير سبل عيشهم. هذا وقد صمتت المراجع والمصادر فلم تخبرنا عن رد رئيس الأساقفة سالف الذكر (برتراند دامياني) على طلب "ريمبرت"، وكل ما وصل إلينا من معلومات، أنه بعد ست سنوات(أي في عام ١٣١٠م)، ذهب بعض إخوان الجسور لتولي إدارة مستشفى الروح القدس، وفي عام ١٣٢١م، بعد حل تنظيم إخوان الجسور فى أفينيون، أعطى البابا يوحنا الثاني والعشرون John XXII(١٣١٦-١٣٣٤م) قناصل مدينة أفينيون الحق في إدارة شئون كل من الجسر، والمستشفى معًا(١٨٣). وهو ما يعنى ضِمنًا حل تنظيم إخوان الجسور.

د– لعل من أبرز النتائج المترتبة على انهيار تنظيم إخوان الجسور، يكمُن في فقدان فرنسا لفئة من الأشخاص المخُلصِين، بل والجادين، والمتدينين في الوقت نفسه، والذين كانوا يعملون بجد، وإخلاص، وحماسة منقطعة النظير على نشر الأمان والأمان للمسافرين والتجار والحجاج، إلى جانب توفير الرعاية الصحية للمرضى منهم.

وأخيرًا، فقد جاءت معلوماتنا عن نهاية تنظيم إخوان الجسر في وثيقة يرجع تاريخها إلى الرابع من شهر أكتوبر من عام ١٣٣٢م، التي تنص على أن الأسقف الفرنسي:

(181) Léon-Honoré L., Avignon au XIIIe siècle. L'évêque Zoen Tencarari et les Avignonnais, Paris, 1908, p.235.
(182) Canron , A., Histoire de Saint Bénézet, pp.71-72.
(183) Ibid., pp.73-74.; Granget ,E.A., Histoire de diocèse,T.1,p.352.

"بيير دي سافوى"Pierre de Savoie [١٨٤]، قد "تحرك بدوافع عادلة ومعقولة"، وأخذ من تنظيم إخوان الجسور إدارة كل من: الكنيسة، والمستشفى، ومنزل الجسر(الفندق أو النزل)، والجسر نفسه، والممتلكات التابعة له، وسلمها إلى رهبان دير "هيو كامب" Hautecombe التابع لتنظيم السيسترشيان Cistercian في عام ١٣٠٨م [١٨٥].

وبذلك انتهى هذا النظام الذي استمر ازدهاره زهاء قرن وربع من الزمان.

الخاتمة

أثبتت هذه الدراسة مجموعة من الحقائق كان منها:

أولًا– اعترف البابا كلمنت الثالث بتنظيم إخوان الجسور فى فرنسا رسميًا في المرسوم البابوي، الذي أصدره في عام ١١٨٩م لهذا الغرض، وظل هذا التنظيم يمارس مهامه حتى بداية القرن الثالث عشر الميلادي.

ثانيًا–تألف الهيكل الإداري والتنظيمي لتنظيم إخوان الجسور من ثلاثة فروع، وهي: الفرع الأول: وقد ضم الفرسان، الذين ساهموا بمعظم الأموال لذلك أُطلق عليهم "المانحين"، والفرع الثاني: وهم رجال الدين(الرهبان) حيث ضم التنظيم بين جنباته عددًا من رجال الدين، وكان هذا الفرع يشمل أيضًا عددًا من الموظفين، الذين يساعدون أعضاء هذا الفرع في مهامهم، والفرع الثالث والأخير، وهم الحرفيون(البناءون)الذين قاموا بأعمال البناء الفعلية للجسور.

ثالثًا– تنوعت مصادر تمويل تنظيم إخوان الجسور؛ فمنها ما هو **مادي**: كأموال النذور والصدقات، التي قاموا بجمعها من داخل الكنائس في المقاطعات الفرنسية، فضلًا عن الامتيازات التي منحها لهم النبلاء والبارونات الفرنسيين؛ ومنها ما هو **روحي** مثل: صكوك الغفران، التي أصدرها البابوات ورجال الدين؛ لتشجيع الأفراد على الإسهام في بناء الجسور.

رابعًا– تباينت مهام تنظيم إخوان الجسور في جنوب فرنسا ما بين **المهام الاجتماعية** مثل: توفير الرعاية الصحية للمرضى في المستشفى الذي أقيم على رأس الجسور، وإيواء

---

[١٨٤] بيير دي سافوى: أحد أفراد أسرة سافوي النبيلة في فرنسا وأيضا أحد الأساقفة الفرنسيين في القرن الرابع عشر الميلادي، تاريخ ميلاده غير معروف، و توفي في شهر نوفمبر عام ١٣٣٢م.

Guichenon, S., Histoire généalogique de la Royale Maison de Savoie justifiée par titres, fondations de monastères, manuscrits, anciens monuments, histoires, et autres preuves authentiques ,Vol.1,Lyon,1660,pp.313-314.

[185] Guigue, M.C., Cartulaire municipal de la ville de Lyon : privilèges, franchises, libertés et autres titres de la commune; recueil formé au XIV e siècle par Étienne de Villeneuve, publié d'après le manuscrit original avec des documents inédits du XIIe au XVe siècle, Genève, 1978, pp. 169 -176.

المسافرين، وتوفير المتطلبات المعيشية لهم كافة، ومساعدة الحجاج والمسافرين على عبور الأنهار، وحمايتهم من اعتداءات قطاع الطرق واللصوص، إلى جانب دفن الموتى؛ **والمهام العمرانية**، فقد شملت بناء الجسور على الأنهار مثل جسر: أفينيون، والروح القدس، ولا غيوتييه، وبونباس.

خامسًا- كان أعضاء تنظيم إخوان الجسور-في بداية أمرهم- يقومون بمهامهم الخيرية جميعًا دون مقابل مادي، ونظرًا لكثرة الأعباء والنفقات المادية، فقد صاروا يؤدونها لقاء مبالغ زهيدة، مع إعفاء الفقراء منها.

سادسًا- لم يسهم ملوك فرنسا بشكل مؤكد في عملية تمويل تنظيم إخوان الجسور ماديًا، ولعل ذلك مرجعه إلى؛ إما بسبب انشغالهم بالمشاركة في الحروب الصليبية ، مع ما يتطلبه ذلك الأمر من بذل مزيد من الأموال والأنفس من ناحية؛ وإما بسبب تعطشهم لجمع الأموال لحسابهم الخاص من ناحية أخرى، مثل الملك فيليب الرابع، الذي لم يبالِ لحل تنظيم ديني كالداوية؛ بُغية مصادرة أموالهم والاستيلاء عليها لصالحه.

سابعًا-لم يمانع البابوات من جانبهم في عملية تمويل تنظيم إخوان الجسور، بل قاموا بإصدار صكوك الغفران؛ بُغية تشجيع الأهالي على الإسهام في عملية تمويل بناء الجسور كعمل من أعمال البر والخير لا يقل أهميةً عن بناء الكنائس في الثواب والأجر.

ثامنًا-لم يستمر تنظيم إخوان الجسور في ممارسة مهامه، إذ سرعان ما تم حله في عام١٣٠٨م؛ بسبب تقاعس أعضاءه عن القيام بمهامهم، لا سيما بعد تكدست الثروات في أيديهم، فضلًا عن الصراع الذي نشب بينهم وبين أهالي أفينيون، وانحياز بارونات وقناصل المدينة إلى جانب الأخيرين ، وقيام رؤساء الأساقفة باختيار رئيس التنظيم من بين العلمانيين دون أخذ رأى بقية الأعضاء ، مما أدى إلى تذمرهم، وإهمال مهامهم.

(الاختصارات الواردة في حواشي البحث)

A A C V	Annales d'Avignon et du Combat Venaissin.
A H R	The American Historical Review.
B E C	Bibliothèque de l'école des chartes.
B H L	Bibliothèque Historique du Lyonnais
B S A H L	Bulletin de la Société Archéologique et Historique du Limousin
C F	Cahiers de Fanjeaux.
Ch	Chapter.
C H R	Catholic Historical Review.
C I	Classics Ireland
C W	The Catholic World.
E B	Encyclopædia Britannica.
G R P E	Géomorphologie Relief Processus Environnement
J A S	Journal of Archaeological Science
J H I	Journal of the History of Ideas.
J W C I	Journal of the Warburg and Courtauld Institutes.
L	Livre.
M A V	Mémoires de l'Académie de Vaucluse.
M G H S	Monumenta Germaniae Historica Scriptorum.
M I F	Mémoires de l'Institut de France.
R B P H	Revue Belge de Philologie et d'Histoire.
R H G F	Recueil des historiens des Gaules et de la France.
Spec	Speculum.
T	Tome.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٣م

(المـــــلاحـــــق)

أولًا- (الخـــرائـــط والصـــور والأشكال):

أ-(الخرائط):

-خارطة لجنوب فرنسا خلال القرن الثاني عشر الميلادي (الملحق الأول) [١٨٦]

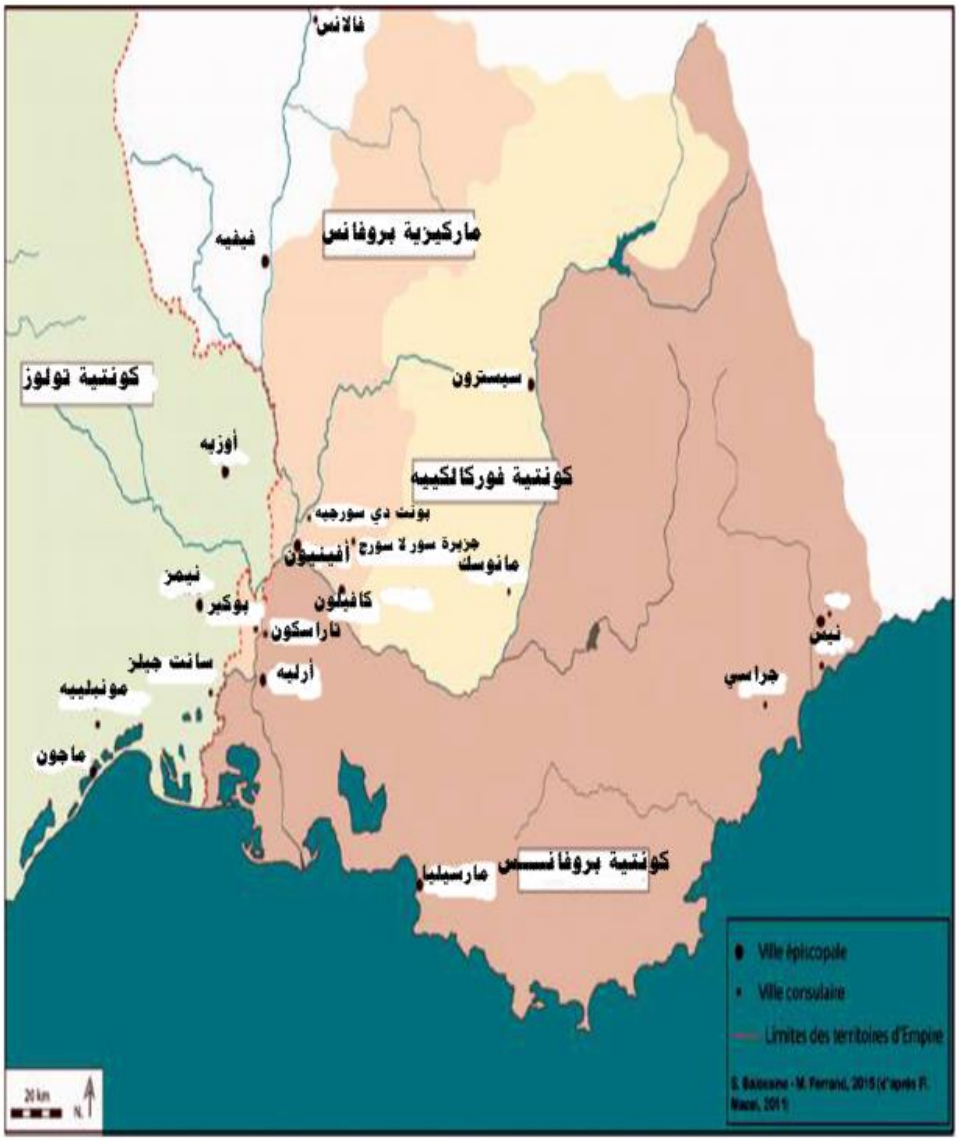

(186) Balossino ,S., Le pont d'Avignon,Ch.6,(Illustration No .3).

ب-(الصور):

١- صورة لجسر أفينيون على نهر الرون (الملحق الثاني) [١٨٧]

٢-صورة لجسر الروح القدس (الملحق الثالث) [١٨٨]

ج-الأشكال:

-شكل لجسر "لا غيوتييه" على نهر الرون في مدينة ليون (الملحق الرابع) [١٨٩].

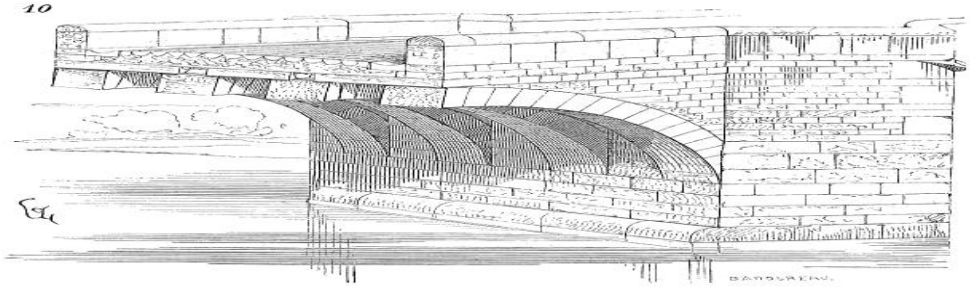

[187] Levy, Lucien (L.L.) (publisher, French, act. 1895-). 6. Avignon. - Le Pont St-Benezet [Saint Benedict Bridge]. -- LL.; Verso: [Divided Back, No Message]. cardstock; paper, ca.1907-1914 (publication date). Trinity College, Watkinson Library (Hartford, Connecticut,USA),JSTOR,https://jstor.org/stable/community.9394500.Accessed 14 Feb. 2023 .

[188]https://fr.wikipedia.org/wiki/Pont_du_SaintEsprit#/media/Fichier:Pont_m%C3%A9di%C3%A9val_Pont-Saint-Esprit_FRA_001.jpg.

[189]https://fr.wikipedia.org/wiki/Ordre_des_fr%C3%A8res_pontifes#/media/Fichier:Pont.medieval.png.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٣م

ثانيًا- الجداول:

جدول رقم (١)

- رؤساء تنظيم إخوان الجسور [١٩٠]

م	الاســـــــــــــــــم	فترة توليه رئاســـــة التنظيـم
١	القديس بينيزيه Saint Bénézet	(توفي١١٨٤م)
خلفاء القديس بينيزيه فى رئاسة التنظيم الذين حملوا لقب البرايور (مقدم الدير)		
٢	جون بينوا John Benoit	(١١٨٥م/١١٨٧م- ؟)
٣	بونس دي بوكيه Pons de Boquet	(نوفمبر ١١٩٢-١١٩٦م)
٤	(غير معروف)	(١١٩٧- يونية عام١١٩٩م)
٥	إتيان دي ميسينديا (أو مانييرا) Étienne de Misendia or Manebra	(يوليو١١٩٩-١٢١٣م)
٦	(غير معروف)	(١٢١٤-٢٤ أغسطس عام ١٢١٥م)
٧	وليام دي سانت بونس Guillaume de St. Pons	(٢٥ أغسطس ١٢١٥م-١٥ ديسمبر١٢١٦م)
٨	(غير معروف)	(١٢١٧-١٢٢٣م)
٩	ريموند دي فيلمان Raymond de Villemagne	(١٢٢٤م)
١٠	جوالتيريوس Gualterius	(١٢٢٥-١٢٢٦م)
١١	(غير معروف)	(١٢٢٧-١٢٣٢م)
١٢	برتراند روستانى Bertrand Rostagni	(١٢٣٣-١٢٤٣م)
١٣	(غير معروف)	(١٢٤٤-١٢٥٩م)
١٤	ريموند هيونيس Raymond Hugonis	(١٢٦٠- ١٢٧١م)
١٥	جان جينسى Jean Genesii	(٣ سبتمبر١٢٧١م-١٢٨٢م)

[١٩٠] ملحوظة: هذا الجدول من إعداد الباحث، اعتمادًا على ما جاء من معلومات لدى المؤرخ "بيير بانسييه". راجع:
Pansier, P.," *Histoire de l'ordre* ", dans, A A C V,T.7,pp.15-17.

جدول رقم (٢)

-الهيكل الإداري والتنظيمي لتنظيم إخوان الجسور [١٩١]

الفـــــروع	المسمى داخل التنظيم	المهـــــام
الفرع الأول:	**الفرسان:**	وقد أسهموا بمعظم الأموال، وكان يُطلق عليهم أحيانًا لقب "المانحين".
الفرع الثاني:	**رجال الدين (الرهبان):** **وينقسمون إلى:**	وكانوا مكرسين للخدمة فى الكنيسة المنشأة على الجسر (الصلاة على الموتى-والقيام بالصلوات الدينية).
	١-البرايور: Prior (أي مقدم الدير):	وهو يرأس التنظيم، ويقوم بمحاسبة كل عضو من أعضاء التنظيم يقع منه التقصير في مهامه، أو يرتكب خطأ ما، وذلك بعد أخذ رأى أسقف أفينيون في ذلك إذا لزم الأمر، وينوب عن بقية أعضاء التنظيم كافة فى المعاملات المالية.
	٢- البريسبتور Preceptor (المراقب):	أكبر الموظفين الإداريين بعد المقدم، وينوب عنه فى حالة غيابه أو مرضه، كما كان مُرافِقًا لمقدم الدير بصفة دائمة ويساعده في مهامه.
	٣- الموظفون وهم:	يعاونون كل من البرايور والبريسبتور في مهامهما.
	أ-الأسبتاري:Hospitaller (أو المحسن-المتصدق):	مسئول عن المستشفى المُلحق بالجسور ومخازنها، وكان يتبعه الأطباء والأخوات (النساء) العاملين فى المستشفى جميعًا، وكان يختص بتوزيع الصدقات به.
	ب- الخازن:Drapier	مسئول عن ملابس التنظيم جميعًا، وكان يتبع البريسبتور.
	ج-مسئول الخزانة:	يختص بأمور التنظيم وحساباته المصرفية.
	د-المارشال:Marshal	مسئول عن الإدارة العسكرية للتنظيم، وتوفير الأسلحة والمؤن الحربية.
الفرع الثالث:	**الحرفيون (البناءون):** وكان يلحق بهذا الفرع مجموعة من:	وهم الذين قاموا بأعمال البناء الفعلية للجسور، والمستشفى الملحق بالجسور.
	- الأخوات (النساء):	اللاتي عملن في المستشفى المُلحق بالجسور وكن يعملن كممرضات.

[١٩١] ملحوظة: هذا الجدول من إعداد الباحث.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٣م

(جدول رقم ٣)

-أوجه الشبه والاختلاف بين إخوان الجسور في أفينيون وليون [١٩٢]

وجه المقارنة	إخوان أفينيون	إخوان ليون
أولًا- أوجه الشبه:	١-كانت المهمة الرئيسة لكل منهما إدارة الجسور، وصيانتها، وبنائها.	
	٢-صار لكل منهما كنيسة صغيرة ومقبرة في نفس الوقت تقريبًا.	
	٣-تم إرفاق اسم القديس بينيزيه بكل منهما.	
	٤-كان يطلق على التنظيم في كل منهما اسم إخوان الجسور.	
ثانيًا- أوجه الاختلاف:	١-كان من بين مهام أعضاء التنظيم جمع الأموال، وإدارة الممتلكات.	١-كانوا مسئولين فقط عن بناء الجسور، ولم يهتموا بجمع الصدقات.
	٢-تكلفة بناء جسر أفينيون على نهر الرون كانت قليلة.	٢-تكلفة بناء جسر "لا غيوتييه" على نهر الرون في ليون كانت كبيرة؛ وذلك بسبب توجيه إخوان ليون نداء للبابا حتى يسمح لهم بالحصول على أموال الصدقات في عام ١١٨٤م من أجل استكمال بناء الجسر.
	٣-كان التنظيم مكونًا من الإخوة والأخوات معًا.	٣-كان التنظيم مكونًا من الإخوة (الرجال) فقط.
	٤-رئيس التنظيم كان يطلق عليه لقب البرايور (مقدم الدير).	٤-رئيس التنظيم كان يطلق عليه لقب "العميد" Rector، أو البريسبتور Preceptor (أي المراقب)
	٥-لم يأتِ الدافع الأساسي لبناء الجسر من إخوان أفينيون، بل من القديس "بينيزيه"	٥-إخوان ليون هم الذين بدأوا فى بناء هيكل الجسر.
	٦-كان غالبا ما يتم ذكر اسم المنزل في أفينيون (إخوان المنزل لعمل الجسر).	٦-نادرًا ما يتم ذكر اسم المنزل فى ليون.

[١٩٢] هذا الجدول من إعداد الباحث، نقلًا عما جاء من معلومات لدي المؤرخة "بوير". انظر:
Cf: Boyer, M.N.,"*The Bridgebuilding*",In, Spec., Vol. 39, No.4,pp.642-43.

(جدول رقم ٤)

رؤساء أساقفة أڤينيون [١٩٣]

م	الاســـــــــــــــم	فترة توليه رئاسة أسقفية أڤينيون
١	بونتس Pontius (الذي ظهر أمامه بينيزيه)	(١١٧٦-١١٧٨م)
٢	بيير الثاني Pierre II	(١١٧٩)
٣	روستان الثالث مارجريت Rostaing III de Marguerite	(١١٨٠-١١٩٦م)
٤	روستان الرابع Rostaing IV	(١١٩٧-١٢٠٨م)
٥	ويليام دي مونتلييه Guillaume de Montlier	(١٢٠٩-١٢٢٥م)
٦	بيير الثالث Pierre III	(١٢٢٦م)
٧	نيقولاس Nicolas	(١٢٢٧-١٢٣١م)
٨	بيرموند Bermond	(١٢٣٢م)
٩	بيرتراند الأول Bertrand I^{er}	(١٢٣٣م)
١٠	برنارد الأول Bernard I^{er}	(١٢٣٤-١٢٣٧م)
١١	بينوا الثاني Benoît II	(١٢٣٨م)
١٢	برنارد الثاني Bernard II	(١٢٣٨-١٢٣٩م)
١٣	زوين تينكاراري Zoen Tencarari	(١٢٤٠-١٢٦٠م)
١٤	إتيان الثاني Étienne II	(١٢٦١-١٢٦٣م)
١٥	بيرتراند الثاني Bertrand II	(١٢٦٤-١٢٦٧م)
١٦	روبرت الأول دي أوزيه Robert I^{er} d'Uzès	(١٢٦٨-١٢٦٩م)
١٧	جان الخامس Jean V	(١٢٧٠م)
١٨	رايموند الثاني Raymond II	(١٢٧١م)
١٩	روبرت الثاني Robert II	(١٢٧٢-١٢٨٦م)
٢٠	بينوا الثالث Benoît III	(١٢٨٧-١٢٩٠م)
٢١	أندري دي لا جواسيللو André de Languisello	(١٢٩١-١٢٩٩م)
٢٢	برتراند دا ميني Bertrand d'Aïmini	(١٣٠٠-١٣٠٤م)
٢٣	ويليام دي ماندااغوت Guillaume de Mandagot	(١٣٠٥-١٣٠٩م)

(193) Lespinasse,H.R.,Armorial historique du diocèse et de l'état d'Avignon, Paris,1874, pp.124-25.

المصادر والمراجع

أولًا –المصادر الأجنبية:

Ainay, abbey., Grand cartulaire de Abbaye d'Ainay suivi d'un autre cartulaire redige en 1286 et de documents inedits, edited by Hippolyte André Suzanne le Comte de CharpinFeugerolles and Marie-Claude Guigue,2 Volumes, Vol.1,Lyon: Pitrat Aine,1885.

Albanès, Abbé J.H., Le Vie de Saint Bénézet, fondateur du pont d'Avignon, texte provençal du XIIe Siècle, Marseille,1876.

Analecta juris Pontificii, XIIe Serie, Paris, 1873.

Anonymous., Chronicon universale anonym Laudunensis: Von 1154 bis zum Schluss (1219), Leipzig, Paris, 1909.

Beatis, Antonio de., The travel journal of Antonio de Beatis. Germany, Switzerland, the Low Countries, France and Italy,1517-1518.Translated from the Italian by: J.R.Hale and J.M.A.Lindon. Edited by:J.R.Hale,London,1979.

Bonaventure de Saint-Amable, le R.P., Histoire de S. Martial apôtre des Gaules, et principalement de l'Aquitaine et du Limosin, ou la défense de son apostolat; contre les critiques du temps: Cet ouvrage peut servir a toutes les provinces de France pour défendre leurs Apôtres & l'antiquité de la religion chrétienne. Divisée en douze livres.,T.3,Alimoges,1685.

Bouche, H., La Chorographie ou Description de Provence, et l'histoire chronologique du mesme pays, Vol. 1, Aix,1664.

Canron, A., Histoire de Saint Bénézet berger et des Frères de l'oeuvre du Pont d'Avignon : composée sur des documents authentiqes, L.Devillario, 1854.

Chronico Turonensi, In, Chronico Turonensi, In, R H G F., 24 Tomes, T.12, Bouquet D.M. (Ed.), Paris, 1781.

Coulon, L., Les Rivieres De France, Ou Description Geographique & Historique du cours & débordement des Fleuves, Rivieres, Fontaines, Lacs & Estangs qui artousent les Provinces du Royaume de France: Auec vn Denombrement des Villes,Ponts, Passages...,Vol.2, Paris, 1644.

Coral, P., Chronico S.Martini Lemovicensi,In,R H G F., T.12, Bouquet D.M. (Ed.), Paris, 1781.

Gray, Walter de., The Register, Or Rolls,Of Walter Gray, Lord Archbishop Of York: With Appendices Of Illustrative, Durham, 1872.

Grégoire, H., Recherches Historiques sur les congregations hospitalieres des frères pontifes ou constructeurs de ponts, Paris: Baudouin Freres,1818.

Guichenon, S., Histoire généalogique de la Royale Maison de Savoie justifiée par titres,fondations de monasteries, manuscrits, anciens monuments, histoires, et autres preuves authentiques,Vol.1, Lyon,1660.

La Mure, J.de., Histoire des ducs Bourbon et des comtes de Forez en forme d'annales sur preuves authentiques servant d'augmentation à l'histoire du pays de Forez et d'illustration à celles des pays de Lyonnois, Beaujolois, Bourbonnais, Dauphine et Auvergne, et aux généalogies tant de la maison royale que des plus illustres maisons du royaume: Publiée pour la première fois d'après un ms. de la

bibliothèque de Montbrison portant la date de 1675.Revue,corrigée et augmentée ... (Publiée par R.Chantelauze,T.3,Paris,1860.

Langloism, M.E., Les registres de Nicolas IV: Recueil des bulles de ce pape, publiées ou, analysées d'après les manuscrits originaux des archives du Vatican, Paris, 1886.

Les Registres d'Innocent IV (1243-1254), Recueil des bulles de ce pape, T.III, Thorin et Fontemoing, 1890-1897.

Martène, E., Thesaurus novus anecdotorum. Tomus secundus, in quo continentur Urbani papae IV.epistolae LXIV. Clementis papae IV. epistolae DCCXI.Joannis XXII. Processus varii in Ludovicum Bavarum & ejus Asseclas. INNOCENTII VI. Registrum Epistolarum anno M.CCC LXI. Aliaque plura de Schismate Pontificum Avenionensium MONUMENTA,Vol.2, Parisiis, 1717.

Monfalcon, J.B., Lugdunensis historiae monumenta, sive Diplomata,chartae, leges,epistolae,testamenta aliaque instrumenta ad res lugdunenses spectantia. Lugdunensis historiae monumenta, inde a colonia condita usque ad saeculum quartum decimum, edidit et annotavit Joannes-Baptista Monfalcon, Lugduni , 1860.

Morel., Un résumé de l'histoire d'Avignon du point de vue religieux dans ses relations avec les grands événements de l'histoire générale., T.1, Avignon, 1852.

Nangis, Guillaume de., Chronique de Guillaume de Nangis, Avec une introduction, des suppléments et des notices et remarques Par: Guizot, M., Paris, 1825.

Nouguier, F., Histoire chronologique de l'Église, évêques et archevêques d'Avignon, Avignon, 1659.

Papon, M., Histoire générale de Provence,4 Tomes, T.2, Paris, 1778.

Potthast, A., Regesta pontificum romanorum inde a 1198 ad 1304, T.1, Berolini, 1874**.**

Prou, M.(Ed.)., Recueil des actes de Philippe I^{er}, roi de France (1059-1108), Paris, 1908**.**

Puylaurens, W., The Chronicle of William of Puylaurens: The Albigensian Crusade and its Aftermath,trans. with introd., notes,and appendices by W.A. Sibly and M.D. Sibly, Boydell, 2003.

Robert de Saint-Marien d'Auxerre., Chronologia seriem temporum et Historiam rerum in orbe gestarum continens ab ejus origine usque ad annum a Christi ortu 1200, auctore anonymo,sed coenobii S. Mariani apud Altissiodorum regulae praemonstratensis monacho,In,M G H S., T.XXVI, Leipzig, 1925.

Saint-Venant, A.B.De., Saint Benezet:patron des ingénieurs,Bourges, 1889.

Saussay,A.D., Martyrologium Gallicanum:in quo sanctorum beatorumque ac piorum plusquam octoginta millium,ortu,vita,factis,doctrina, agonibus, trophaeis, opitulationumque gloria,ac caeteris quibusque sacrae venerationis titulis, in Gallia illustrium, certi natales indicantur,triumphi suspiciendi exhibentur, nitidaque ac vindicata eorumdem elogia describuntur,quae commentariorum apodicticorum tomi quatuor subsequentes,uberius recensita, insignitaque multiplici antiquitatis ecclesiasticae indagine, cumulabunt:opus, in cujus penu constat absoluta christianissimae Ecclesiae historia,pridem ante desiderata, jamque ut ex rebus

conserta per sanctos divine gestis,sic ex probatissimis quibusque monimentis,ac priscis codd.mss.,summa fide,collecta, Paris, 1637.

Semeonis, S., The Journey of Symon Semeonis from Ireland to the Holy Land, in, https://celt.ucc.ie/published/T300002-001/index.html.

Tudela, William of., The Song of the Cathar Wars: A History of the Albigensian Crusade, Translated by: Janet Shirley, Aldershot, England: Scolar, 1996.

Vincent, de Beauvais., Miroir Historial [Speculum Historiale], traduction Française par Jean de Vignay Series, Livre.XXIX, (W.D).

Vitry, Jacques de., Histoire des Croisades,une introduction, des supplémens, des notices et des notes par M.Guizot,Paris,1825.

ثانيًا-المصادر المُـعـــربة:

دي فيتري، جاك، رسائل جاك دي فيتري نقلا عن اللاتينية "دراسة وثائقية في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب"١٢٠٠-١٢٤٠م، ترجمة وتعليق ودراسة د. عبد اللطيف عبد الهادي السيد، ط١، المكتب الجامعي الحديث، ليبيا، ٢٠٠٥م.

جوانفيل: القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، ط١، دار المعارف، القاهرة ،١٩٦٨م.

مجهول، الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد)، ج١-٢، ترجمة وتعليق وتحقيق د. حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٩-٢٠٠٠م.

ثالثًا-المراجع الأجنبية:

Addington, L.H., The Patterns of War Through the Eighteenth Century, Indiana University Press,1994.

Anderson, H.V., "*Brotherhood in the Middle Ages* ",In, Mind, Vol.12, (New York 1913).

André Pelletier, A.,and Others., Histoire de Lyon:des origines à nos jours, Lyon, Éditions lyonnaises d'art et d'histoire, Editions Lyonnaises d'Art et d'Histoire ; Illustrated édition, 2007.

Balossino,S.,Le pont d'Avignon: une société de bâtisseurs (XIIe-XVe siècle), Éditions Universitaires d'Avignon,2022.

Baudoin, J., Grand livre des Saints: culte et iconographie en Occident, Auvergne , 2006.

Bellitto, Ch.M., The General Councils: A History of the Twenty-One Church Councils from Nicaea to Vatican II, Paulist Press, 2002.

Beutner, D.M., Saints: Becoming an Image of Christ Every Day of the Year, Ignatius Press, 2020.

Bouillet, M.N., Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, Paris, 1878.

Boyer, M.N., "*The Bridgebuilding Brotherhoods*",in, Specu.,Vol. 39, N. 4, (1964), pp. 635-650.

Brodman, J., Charity and Religion in Medieval Europe, The Catholic University of America, 2009.

Canby , C., Encyclopedia of Historic Places, Facts on File; Revised edition, 2007.

Cazes, E., La provence et les provencaux, Gedalge jeune Paris, 1870.

Céline, P., Faire la route, IIIe-XXe siècle,Presses universitaires Blaise-Pascal Clermont-Ferrand, 2007.

Chambers, D. S.," *Isabella d'Este and the Travel Diary of Antonio de Beatis*", In, J W C I., Vol. 64 (2001), pp.296-308.

Chisholm, H., "*Bridgebuilding Brotherhood*", In, E B., Vol. 4,11th edition., (Cambridge,1911).

CHM., "*The Fratres Pontifices and the Community at Altopasio* ", In, C H R., Vol. 9, No.4, (1924),pp. 563-566.

Cormette, H.De., Histoire et statistique des Ordres de Chevalerie de l'Europe, Paris, 1853.

Courtet, J., Dictionnaire géographique historique, archéologique et biographique des communes du département de Vaucluse, Avignon, 1857.

Dutaillis, C.P., Étude sur la vie et le règne de Louis VIII,(1187-1226),Paris, 1894.

Emerton, E., "*Altopascio-A Forgotten Order*",In, A H R,Vol.29,No.1 (Oct., 1923) , pp.1-23.

François, marquis de Ripert-Monclar., Bullaire des indulgences concédées avant 1431 à l'œuvre du pont d'Avignon par les souverains pontifes, Monaco-Paris, 1912.

Frédéric, M., La France au moyen age, paris, Germer Bailliere et cie,1865.

Géraud, H., "*Les Routiers au douzième siècle*", dans, B E C,T.3,(1842), pp.125-147.

Ghilardi, Matthieu, et al., "*Dating the bridge at Avignon (south France) and reconstructing the Rhone River fluvial palaeo-landscape in Provence from medieval to modern times*",In, J A S: Reports 4 (2015), pp.336-354.

Gordon, J.E., "*Something about bridges-or Saint Bénezèt and Saint Isambard*", In, Structures or Why things don't fall down , (1978), pp.198-209.

Granget, E.A., Histoire de diocèse d'Avignon et des anciens diocèses dont il est formé, T.1., Avignon,1862.

Gross, E.,This Day in Religion,New York:Neil-Schuman Publishers,1990.

Guigue, M.C. (Ed.)., Obituarium Lugdunensis ecclesiae:nécrologe des personnages illustres et des bienfaiteurs de l'église métropolitaine de Lyon du IXe au XVe siècle, Lyon, 1867.

_____.,"*Origine du pont de la Guillotière à Lyon*",In, B H L.,Vol.1, (1886/88), pp.128-131.

_____., Cartulaire lyonnais: documents inédits pour servir à l'histoire des anciennes provinces de Lyonnais, Forez, Beaujolais, Dombes, Bresse [et] Bugey comprises jadis dans le Pagus Major Lugdunensis,T.1-2,Lyon, 1885-1893.

_____., Cartulaire municipal de la ville de Lyon: priviléges, franchises, libertés et autres titres de la commune; recueil formé au XIV e siècle par Étienne de Villeneuve, publié d'après le manuscrit original avec des documents inédits du XIIe au XVe siècle, Genève,1978.

Guillemain, B., Avignon au Moyen âge:textes et documents,publ. par l' institut de recherches et d'études du bas Moyen Age avignonnais, Avignon, 1988.

Hallam, Elizabeth M., Capetian France,987-1328, Longman, London, 1980.

Harrison, T., Of Bridges: A Poetic and Philosophical Account, University of Chicago Press, 2021.

Hélyot, P., Dictionnaire Des Ordres Religieux,Ou,Histoire Des Ordres Monastiques, Religieux Et Militaires, Et Les Congrégations Séculières De L'un Et De L'autre Sexe,Qui Ont été établies Jusqu'à Présent,4 Tomes, T.3, Paris,1850.

Herbermann, C.G., The Catholic Encyclopedia, Vol.2 of 15: An International Work of Reference on the Constitution, Doctrine, Discipline, and History of the Catholic Church, 2018.

Hostie, R., Vie et mort des ordres religieux: approches psychosociologiques. Éd. Desclée de Brouwer, Bibliothèque d'études psycho-religieuses, Paris, 1972.

Joudou, J.B.M., Avignon, son Histoire, ses Papes, ses Monumens et ses environs, Avignon, 1842.

Kurtz, J.H., Church History,3 Voles,Vol.2, New York,1889.

Lallemand, L., Histoire de la charité, T.III: Le Moyen-Âge (du Xe au XVIe siècle), Paris, 1906.

Le Blévec, D., "*Une institution d'assistance en pays rhodanien: les Frères pontifes*", dans, C F.,T.13, (1978), pp.87-110.

_____., '*Indulgences et quêtes, à propos des œuvres de pont de la vallée du Rhône*,In, Ablasskampagnen des Spätmittelalters. Luthers Thesen von 1517 im Kontext , (2017), pp. 271-282.

Leete, F.D., Christian Brotherhoods, New York,1912.

Lentheric, C., Le Rhône Histoire d'un fleuve, Paris, 1905.

Léon-Honoré, L., Avignon au XIIIe siècle.L'évêque Zoen Tencarari et les Avignonnais, Paris, 1908.

Lespinasse, H.R., Armorial historique du diocèse et de l'état d'Avignon, Paris, 1874.

Levy, Lucien (L.L.) (publisher,French, act. 1895-).6.Avignon.- Le Pont St-Benezet [Saint Benedict Bridge].-- LL.;Verso;[Divided Back,No Message]. Cardstock;paper,ca.1907-1914(publication date).Trinity College,Watkinson Library (Hartford,Connecticut,USA),JSTOR,https;// jstor.org/stable/community. 9394500.Accessed 14 Feb.2023.

Mackey, A.G., Encyclopedia Of Freemasonry And Its Kindred Sciences, Vol.1:A-C, Jazzybee Verlag, 2016.

Marié, D.M., Le pont Saint Bénézet. Étude historique et archéologique d'un ouvrage en partie disparu. Vol.1, Histoires et réalité, Paris,1953.

Martin, J.B., Conciles et bullaire du diocèse de Lyon: des origines à la réunion du Lyonnais à la France en 1312,Lyon: E.Vitte, 1905.

Maynard, L.S., Histoires, légendes et anecdotes à propos des rues de Lyon: Avec indication de ce qu'on peut y remarquer en les parcourant Broché, Éditions des Traboules, 2003.

Mesqui, J., "*Le pont en France avant le temps des ingénieurs*", dans, R B P H, n° 4 ,Vol.65, (1986), pp.873-877.

Michel, F.; Fournier,E., Histoire des hotelleries,cabarets,hotels garnis, restaurants et cafés et des anciennes communautés et confréries d'hoteliers,de marchands de vins, de restaurateurs,de limonadiers,etc.,etc.Librairie de Seré,T.1, Paris, 1851.

Mognetti, E., " *Saint-Bénézet fondateur du Pont d'Avignon, Histoire et Légende: Catalogue des œuvres exposées*",in,M A V,T.5,7e série ,(1984), pp.126-160.

Moore, W.G., The Penguin Encyclopedia of Places, Second edition, London 1978.

Murphy, C., "*An Early Irish Visitor to the Island of Crete: The Journey of Symon Semeonis from Ireland to the Holy Land*", In, C I, Vol. 10 (2003), pp. 54-63.

Naudon, P., The Secret History of Freemasonry: Its Origins and Connection to the Knights Templar, Inner Traditions/Bear, 2005.

Neel , C., "*Man's Restoration: Robert of Auxerre and the Writing of History in the Early Thirteenth Century*",In, Traditio,Vol.44 , (1988), pp. 253-274.

Neusner, J., Religions in Antiquity:Essays in Memory of Erwin Ramsdell Goodenough, Wipf and Stock, 2004.

Pansier, P., Les hôpitaux d'Avignon au moyen âge: conférence faite à l'Association des anciens élèves de la rue Tête-Noire, à Avignon, (15 février 1907).

_____., "*Note sur une bulle de Calixte III accordant des indulgences à L'oeuvre du Pont d'Avignon*",In ,A A C V.,T.I,No.3, (1912), pp.169-176 .

_____.,"*Histoire de l'ordre des frères du pont d'Avignon (1181-1410)* ", dans, A A C V,T.7, (1922), pp.5-33.

_____., "*Les anciens hôpitaux d'Avignon*", dans, A A C V,T.15, (1929), pp. 5-116.

Paulus, N., Indulgences as a Social Factor in the Middle Ages, Trans by: Ross,J. E., New York, 1922.

Rastoul, A.S, Tableau d'Avignon,Avignon , Rastoul, 1836.

Robinson ,I.S., The Papacy,1073–1198:Continuity and Innovation, Cambridge University Press,1996.

Rossiaud, J., Le Rhône au Moyen Âge: Hhistoire et représentations d'un fleuve Européen, Paris,Aubier, 2007.

Rouquette, J.M., Provence Romane: La Provence Rhodanienne (in French, English, and German), Paris, 1974.

Roure, L.B., Les Constructeurs de ponts au moyen âge. Récits légendaires ou historiques,suivis de la description des ponts remarquables bâtis aux XIIe et XIIIe siècles, Paris, 1876.

_____., Chronique et cartulaire de l'œuvre des église, maison pont et hôpitaux du Saint-Esprit (1265-1791) ,Nîmes, 1895.

Thurston, H.S .J., "*Saint Benezet and his biographer*",In,C.W.,Vol.LXXXVI, No.513 ,(New York December,1907), pp.289-302.

Varano, M., " *Espace religieux et espace politique en pays provençal au Moyen Âge (IXeXIIIe siècles).L'exemple de Forcalquier et de sa région* ", Archéologie et Préhistoire. Université de Provence - Aix-Marseille I, 2011.

Vella, M.A.; et al.; "*Géoarchéologie du Rhône dans le secteur du pont Saint-Bénézet (Avignon, Provence, France) au cours de la seconde moitié du deuxième millénaire apr.J.-C.:étude croisée de géographie historique et des paléoenvironnements*", In,G R P E,19 (3), pp.287-310.

Viard, J., Les grandes chroniques de France. Louis VIII et St.Louis/ publiées pour la Société de l'Histoire de France,10 Tomes,T.7, Paris, 1932.

Viollet-le-Duc, E., Dictionnaire raisonné de l'architecture Française du XIe au XVIe siècle,Vol.7, Paris, 1875.

Wahlen, A., Nouveau Dictionnaire De La Conversation:Ou Répertoire Universel De Toutes Les Connaissances Nécessaires,Utiles Ou Agréables Dans La Vie Sociale,Et... Etc.,Avec Des Notices, 1844.

William, W.Kibler and Others (Eds)., Medieval France:An Encyclopedia, London, 1995.

Zerner, M., "*Le siège d'Avignon par Louis VIII (10 juin-10 septembre 1226)*", dans Avignon au Moyen Âge, (Avignon ,1988).

رابعًا – المراجع العربية والمُعربة:

إبراهيم، أسامة إبراهيم حسيب، "*مقاطعة لانجدوك في جنوب فرنسا بين البابوية والكاثريون ١٢٠٩-١٢١٨م: دراسة في التاريخ الديني والعسكري*". مجلة كلية الآداب جامعة بنها، عدد٢٤، ج٢ (عام٢٠١١م)، ص ص ٧٣٣ -٨٢٢.

أسامة صاحب منعم، وآخر، "فيليب الرابع وسياسته تجاه البابوية ١٢٩٥-١٣١٤م"، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية/جامعة بابل، عدد٣٨، نيسان (٢٠١٨م)، ص ص٨٠٨-٨٢٤.

بروديل، فرنان، هوية فرنسا، المجلد الأول: المكان والتاريخ، ترجمة: بشير السباعي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة ،١٩٩٩م.

التركي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن، "*صكوك الغفران لدي النصارى دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية*"، مجلة العلوم الشرعية، العدد ٢٨، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عمادة البحث العلمي، المملكة العربية السعودية، (٢٠١٣م)، ص ص١٣ – ١٥٧.

السلمي، بسمة عمرو، "*إصلاحات الملك الفرنسي لويس التاسع الداخلية (١٢٢٦-١٢٧٠م)*". مجلة بحوث كلية الآداب. جامعة المنوفية، المجلد٣٤، العدد١٣٤، (٢٠٢٣م)، ص ص ٣-٢٧.

العنزي، لطيفة بنت خلف، "*نهاية منظمة الداوية Templars في أوربا ٧١٣هـ/١٣١٢م*،"مجلة كلية الآداب –جامعة سوهاج، ع ٣٨ (٢٠١٥م)، ص ص١٨٩-٢٢٠.

الوكيل، جمال فاروق، "*سياسة الملك الفرنسي فيليب الرابع "الجميل" تجاه جماعة الفرسان الداوية " ١٢٨٥- ١٣١٤م*". مجلة وقائع تاريخية، ع ٢٨(٢٠١٨م)،ص ص ٧٥ – ١١٥.

حسن، محمد دسوقي محمد،" *الفرق المأجورة في جنوب فرنسا وسبل مواجهتها ١٣٦٠-١٣٧٠م*"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، جامعة بني سويف – كلية الآداب، العدد ٢١، ج١، (٢٠٢١م)، ص ص ٢٦٧ – ٣١٧.

عاشور، سعيد عبد الفتاح، تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، عام ١٩٧٢م.

عبد المجيد عبد القوي، زينب، الإنجليز والحروب الصليبية فى الفترة بين ١١٨٩-١٢٩١م،ط١، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،١٩٩٦م.

عوض، محمد مؤنس، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية فى الشرق والغرب، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة،٢٠١٥م.

غربال، محمد شفيق وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، مج١،القاهرة،١٩٩٥م.

فرح، نعيم، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطي، ط٢، دمشق، ١٩٩٩-٢٠٠٠م.

محمد، كحلوش، دور التجارة في نهضة المدن جنوب نهر اللوار(فرنسا) خلال العصور الوسطى المتأخرة (القرنين ١١ و١٣ الميلاديين) ، رسالة ماجستير كلية الآداب-جامعة الجزائر٢- بوزريعة -٢٠١٤م.

مصطفي عبد الوهاب، ياسر، *"المسألة الصليبية في السياسة الفرنسية زمن الملك فيليب الرابع (١٢٨٥- ١٣١٤م/٦٨٤-٧١٤هـ)*"، مجلة كلية التربية، العدد الثالث، السنة السادسة، جامعة كفر الشيخ، (٢٠٠٦م)، ص ص١٠٢-١٤٥.

مقامي، نبيلة إبراهيم، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، جامعة القاهرة، ١٩٩٤م.